مكتبة دير السريان العامر

# الرحمة

إعداد

**الأنبا متاؤس**

أسقف و رئيس دير السريان العامر

٢/٢٦٧
١٢

مكتبة دير السيدة العذراء السريان
الرقم العام: ٣٩٤٥٧
الرقم الخاص: ٢١٢٦٧
القسم: ١٣

مكتبة دير السريان العامر
تقدم

# الرحمة

عن مخطوط رقم ١٨٧، ١٨٨، ١٩٧، ١٤٥، ٢٠٦ بمكتبة دير السريان العامر

مكتبة
دير السيدة العذراء (السريان)

إعداد
الأنبا متاؤس
أسقف دير السريان العامر

الكتـــــــاب : الرحمة
إعـــــــداد : الأنبا متاؤس
أسقف ورئيس دير السريان العامر
الناشـــــــر: مكتبة دير السريان
الطبعـــــــة : (الأولى) أكتوبر ٢٠١٠
رقـم الإيـداع : ٢٠١٠/١٩٧٩٢
الترقيم الدولي : 977-17-9644-5
حقوق الطبع محفوظة لدير السريان

قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث

بابا الأسكندرية و بطريرك الكرازة المرقسية

نيافة الأنبا متاؤس

أسقف ورئيس دير السريان العامر

# مقدمة

لما أراد الرب يسوع المسيح أن يعلمنا مبادئ العبادة المسيحية قال في عظته على الجبل: " مَتَى صَنَعْتَ صَدَقَةً - مَتَى صَلَّيْتَ - مَتَى صُمْتَ " ( مت ٦: ١ - ١٨ ).

وبذلك وضع فضيلة الصدقة أو عمل الرحمة كأول ركن من أركان العبادة المسيحية، ثم أراد أن يؤكد على هذا المضمون فقال: " لاَ تَكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزاً عَلَى الأَرْضِ حَيْثُ يُفْسِدُ السُّوسُ وَالصَّدَأُ وَحَيْثُ يَنْقُبُ السَّارِقُونَ وَيَسْرِقُونَ. بَلِ اكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزاً فِي السَّمَاءِ حَيْثُ لاَ يُفْسِدُ سُوسٌ وَلاَ صَدَأٌ وَحَيْثُ لاَ يَنْقُبُ سَارِقُونَ وَلاَ يَسْرِقُونَ. لأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ أَيْضاً. " ( مت ٦: ١٩ - ٢١ )، والفقراء هم الحمالون الذين يحملون هذه الكنوز ويوصلونها إلى السماء بدون أجر.

وفي التطويبات التي قالها الرب في صدر عظته الذهبية على الجبل قال: " طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ لأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ " ( مت ٥: ٧ ).

وفي المجيء الثاني للسيد المسيح والدينونة العامة لكل البشر سيكون عمل الرحمة هو أساس الدينونة والحكم. فيقول للذين عن يمينه: " تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ

مُنْـذُ تَأْسِـيسِ الْعَـالَمِ لأَنِّـي جُعْـتُ فَـأَطْعَمْتُمُونِي. عَطِـشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي. كُنْتُ غَرِيباً فَآوَيْتُمُونِي عُرْيَاناً فَكَسَوْتُمُونِي. مَرِيضاً فَزُرْتُمُونِي. مَحْبُوساً فَأَتَيْتُمْ إِلَيَّ فَيُجِيبُهُ الأَبْرَارُ ( الرحمـــاء ) حِينَئِـذٍ: يَـارَبُّ مَتَـى رَأَيْنَـاكَ جَائِعـاً فَأَطْعَمْنَـاكَ أَوْ عَطْـشَانَاً فَسَقَيْنَاكَ؟ ... فَيُجِيبُ الْمَلِكُ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُـــوهُ بِأَحَـــدِ إِخْـــوَتِي هَـــؤُلاَءِ الأَصَـــاغِرِ ( الفقراء ) فَبِي فَعَلْتُمْ " ( مت ٢٥: ٣١ – ٤٠ ).

وهكذا يظهر أن عمل الرحمة له المقام الأول في الفوز برحمة الله وغفرانه وملكوته، لأنه ليس رحمة في الدينونة لمن لم يعمل رحمة، " وَالرَّحْمَةُ تَفْتَخِرُ عَلَى الْحُكْمِ " ( يع ٢: ١٣ ).

نقدم لك أيها القارئ العزيز هذا الكتاب عن عمل الرحمة وهو من أقوال الآباء الكبار معلمي البيعة جمعناها لك من بطون المخطوطات حتى تساعدك وتشجعك على فضيلة العطاء وعمل الرحمة وتجعلك تفوز برحمة الله وملكوته حسب وعوده الإلهية الصادقة الأمينة.

خصوصاً أننا نلاحظ في هذه الأيام أن أبانا ومعلمنا قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث يتكلم كثيراً عن عمل الرحمة ويحث الجميع عليها ويقدم نفسه قدوة في ذلك فيعطي ويعطي بلا حدود

مقتنعاً وسعيداً بفضيلة العطاء لأن " مَغْبُوطٌ هُوَ الْعَطَاءُ أَكْثَرُ مِنَ الأَخْذِ " ( أع ٢٠: ٣٥ )، " الْمُعْطِيَ الْمَسْرُورَ يُحِبُّهُ اللهُ " ( ٢كو ٩: ٧ ).

الله قادر أن يجعل هذا الكتاب سبب بركة لكل من يقرأه لينمو في العطاء وعمل الرحمة. بشفاعة أمنا الطاهرة القديسة مريم وصلوات أبينا المكرم البابا الأنبا شنوده الثالث.

ولإلهنا كل مجد وكرامة إلى الأبد آمين.

**الأنبا متاؤس**

**أسقف دير السريان العامر**

صوم العذراء ٢٠١٠م

# عمل الرحمة [1]

## لمن تُعطى؟ وكيف تُعطى

**قال الإنجيل المقدس:**

" أعط من طلب منك ومن شاء أن يقترض منك لا تلتفت عنه " [2].

ومن تفسير ذهبي الفم لبشارة متى قال: لا يعني بالقرض ههنا القرض الذي يصير بربا بل الإعطاء على الإطلاق، ففي موضع آخر يوضح الكتاب المقدس هذا إيضاحاً شافياً فيقول: " أعط لمن لا ترجو أن تأخذ منه " [3] فيجب أن تقبل قاصدك بيدين مبسوطتين، وتخفف من تعبه وتضمد من جراحاته، فاقبله بوجه باش وامسح عرقه، ومن كل نفسك عَزِهِ وأنعشه ورد نفسه، فإذا خدمنا القديسين بهذا النشاط نصير مشاركين لهم في الميراث الأبدي وهذا ما يقوله السيد المسيح: " اصنعوا لكم أصدقاء من مال الظلم لكي ما يقبلونكم في مساكنهم الدهرية " [4].

---

(1) من المقالة العشرين والحادية والعشرين – مخطوط ١٨٨ نسكيات بمكتبة دير السريان العامر.

(2) مت ٥: ٤٢.

(3) لو ٦: ٣٤.

(4) لو ١٦: ٩.

من كان في نياح ويعيش بسعة عيش لا تعطه شيئاً ولو كان قديساً بل قدم عليه ذاك البائس والمسكين فهكذا يشاء السيد المسيح إذ قال: " متى عملت غذاء أو عشاء فلا تدع أصدقائك وأنسبائك بل ادع ذوي العاهات العرج والعُمي الذين يعجزون عن مكافئتك " [1] فيجب أن لا تعمل ولائم وضيافات إلا للجياع والعطاش والعراة والغرباء والذين افتقروا بعد غنى، وتأمل في قول الرب: " كنت جائعاً فأطعمتموني " [2]، فلم يقل مطلقاً لأنكم أطعمتموني، بل كنت جائعاً، فالبر يكون مضاعفاً لو أطعمت القديسين الجائعين، فإن كان إطعام الجياع أوجب فالأولى متى كان قديساً، ولا تفكر في ذاتك وتقول هذا في سعة وحسن حال ولا تظن به سوءاً، تأمل كيف الأرملة أطعمت إيليا النبي ولم تقل في نفسها ما هي الفائدة التي أنا آخذها من هذا الرجل ولم تقل لو كان بهذا قوة وقدرة ما جاع ولا كان تحت هذه الضيقة بل كان يزيل ويحل هذا القحط وأيضاً لم تقل طالما هذا محتاجاً فهو من المخطئين إلى الله ومع الجماعة التي تحت هذا القصاص، فلم تفكر الأرملة في شيء من هذا على الإطلاق

---

(1) لو ١٤: ١٢، ١٣.

(2) مت ٢٥: ٤٢.

بل نظرت إلى كم هي مقدار وعظمة الرحمة ببساطة بدون فحص وتفتيش.

فيجب ألا يكثر الإنسان التفتيش والفضول مع من يحسن إليه، فإبراهيم أبو الآباء لو كان إنسان فضولي ما كان أضاف ملائكة، فالفضولي الذي يريد أن يفحص ويفتش في مثل هذه الأشياء ما يحظى بطائل، لكنه يسقط دائماً في ظنون وهموم.

أود أن أعرفكم أن الإنسان المحتاج التقي لا يشاء أن يظهر نفسه تقياً ولا يتزين بزي التقوى بل يروم أن يُرذَل من الناس ليتمجد من الله، والإنسان الذي يتضع وقد امتلك الاتضاع صناعة، ويتصنع لنفسه التقوى، فصعب أن يفهم بسهولة، لذلك أسألكم أن نقرض القادم إلينا مهما كان متصنعاً أم حقيقياً – بهذا نتشبه بالله الذي يشرق شمسه على الأشرار والأخيار.

## وعن كلام القديس باسيليوس في معنى ما سبق:

نعم أعط من سألك وكن بسيطاً مع طالبيك الذين يسألونك لأجل المحبة، ويجب أن تميز بفكرك حاجة كل أحد من طالبيك، ونعرف ذلك من كتاب أعمال الرسل فإن أولئك الذين يريدون إكمال وإتمام حسن العبادة بحذق وصناعة، فكانوا يحضرون ممتلكاتهم ويطرحونها تحت أرجل الرسل، وكان الرسل يقسمون ذلك بحسب

حاجة كل واحد. فقد كان كثيرون من الناس يفرطون في استعمال الأشياء الضرورية ويجعلون من الطلبة سبباً للربح وعلة للترف والمتعة والفسق، فكانت تُجمع الأشياء عند أولئك المؤتمنين على الاهتمام بالمساكين ومن عندهم تصير القسمة بحذق وصناعة حسب احتياج كل واحد. كما هو يجري الحال بين المرضى، فكل المرضى في احتياج كثير إلى دواء ولكن لا يعلم المريض زمن ومقدار الدواء ولا يعلم كيف يستخدمه وإنما الحاجة ماسة إلى طبيب يعطي المريض المقدار المناسب من الدواء في الوقت المناسب ويعلمه كيف يستخدمه لكي يكون نافعاً له، فهكذا يجب أن تكون السياسة في الاهتمام بالتفرقة والتوزيع على المساكين المحتاجين، فيكون العطاء لهم نافعاً ولا يصير سبباً للرذيلة والفساد، ويجب أن نظهر الحنان ومحبة البشرية والمودة الأخوية مع أولئك الصابرين على البلايا والأحزان الذين نحوهم قال السيد جعت فأطعمتموني.

ولقد أمر الرب ليس فقط من سألك فأعطه ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده بل قال أيضاً: " بع كل مالك وأعط المساكين " [1] وقال في موضع آخر: " بيعوا ما لكم واصنعوا رحمة " [2].

---

([1]) مر ١٠: ٢١.

([2]) لو ١٢: ٣٣.

**سؤال:** هل من اللائق أن نعطي المحتاجين البرانيين من الصدقة؟!

**الإجابة:** إنه من الزيادة والفضل أن تشرق الشمس على الأخيار والأشرار.

ومن قول القديس مكسيموس: الذي يحب الله فبلا شك يحب قريبه ومن كانت هذه صفته فما يخزن عنده مقتنيات بل يدبر ما عنده تدبيراً إلهياً ويعطي لكل أحد من المحتاجين، والذي يعمل رحمة يتشبه بالله، فلا فرق عنده بين الصالح والطالح ولا بين الصديق وغير الصديق في ضروريات الجسد بل يوزع على الكل بالمساواة وحسب حاجة كل واحد.

**ومن سيرة أبينا يوحنا الرحوم:**

لقد قيل جاء في بعض الأوقات من جملة الطالبين رحمة من عطايا الأب يوحنا قوم عليهم زي حسن ومن بينهم أيضاً نسوة متحلين بزينة النساء، فالمؤتمنون على توزيع عطايا الأب يوحنا رفعوا أمر أولئك إلى الأب العظيم يوحنا الممتلئ رحمة فنظر إليهم نظراً شذراً ( غضب واستهانة ) على أن نظره دائماً حاواً باشاً، وزجرهم قائلاً إن كنتم أنتم مقسمين مال الله وليس مال يوحنا فأطيعوا أمره الإلهي بلا فضول ولا تفتيش وأطيعوا وصيته القائلة أعط كل من يطلب منك. وإن كنتم تفحصون وتفتشون حال القادمين إليكم فالله لا يحتاج إلى خدمة

أناس فضوليين باحثين في أمور الغير ولا يوحنا المسكين في حاجة لمن هذه صفتهم.

**ومن أقوال القديس مار إسحاق السرياني في هذا الأمر أيضاً:**

إن كان لك ما يفضل عن قوت يومك فأعطه للمساكين وهلم قدم صلواتك بدالة، بمعنى أن تخاطب الله كما يخاطب الابن أباه، فلا يوجد شيئاً ما يقرب النفس إلى الله مثل الرحمة، ولا يوجد شيئاً ما يعطي سكوناً للعقل مثل المسكنة الاختيارية. وإن جاء إليك شخصاً راكباً فرساً ويطلب منك رحمة فلا ترد يدك عنه، لأنه في ذلك الوقت لا محالة فإنه يكون محتاج كأحد المساكين، وإذا ما منحته فليكن ذلك بطيبة نفس وطلاقة وجه، وأعطه أكثر مما طلب منك لأن الكتاب يقول: " ارم خبزك على وجه الماء وبعد زمان طويل ستجد المجازاة "[1].

ولا يجب عليك أن تؤثر أن تعرف المستحق من غير المستحق بل ليكن جميع الناس كلهم عندك سواسية في الخير، لأن بهذا الوجه يمكنك أن تجذب إلى الخير الذين ليس هم مستحقين، فإن النفس تنجذب وشيكاً من الجسمانيات إلى خوف الله تعالى، والدليل على ذلك أن الرب يسوع – تقدس اسمه – شارك في الموائد مع العشارين

---

(1) جا ١١: ١.

والزناة [1] ولم يفرز المستحق من غير المستحق ليجذب بهذه الطريقة الكل إلى طريق الله ويفسح لهم المجال ليتذوقون من الروحيات، فلا تعزل أنت أيضاً أحداً من إعطاء الخير حتى لو كان وثنياً لأنه أخوك في الطبيعة وإنما قد ضل عن الحق بغير معرفة. وإذا صنعت مع إنسان ما جميلاً فلا تتوقع منه المكافأة فستنال المجازاة من الله.

**سأل أخ شيخاً قائلاً:** " من لم تجرِ عادته بالصدقة، ولا يلتذ بأن يعطي شيئاً، فما سبيله ليعود نفسه العطاء؟ "

**الجواب:** أجاب الشيخ قائلاً: " يجب هذا الإنسان أن يذكر نفسه بالمجازاة والمكافأة الصائرة عن العطاء من قِبَلْ الله، وأن يعظ نفسه دائماً ويقول يا نفسي الذي يعطي دائماً قليلاً، دائماً يأخذ قليلاً كما قال الرسول الزارع بالبخل، بالبخل يحصد، والزارع بالبركة، بالبركة يحصد. ومتى كرر مثل هذا القول في ذهنه وعقله فقد يعتاد الصدقة ويعطي المحتاجين رغبة منه في المكافأة والمجازاة وقليلاً قليلاً ينجح ويبلغ محبة العطاء ومن صارت هذه صورته يبلغ إلى درجة عالية في طريق الكمال فقد يصل إلى أن يُعري نفسه من الأمور الأرضية، ويصل بروحه إلى منزلة السمائيين ".

---

(1) مت ٩: ١٠.

**مسألة**: إن اتفق وجود مسكينين وما معي ما يكفيهما فلمن منهما أقدم الشيء الذي معي؟!

**الجواب**: قدم أولاً للأفقر والأحوج مثلما إذا أبصرت مريضين فيجب عليك أن تهتم بالذي هو أشد مرضاً.

**مسألة**: إن شئت أن أُعطي صدقة ينقسم فكري ويقول لي لا تعطي فماذا أصنع؟!

**الجواب**: اسأل فكرك لماذا يقول لك هذا؟! فإن وجدته يفعل ذلك بُخلاً وشحاً فأعط شيئاً آخر زائداً عن ما كنت تريد أن تعطيه لسألك ولو بزيادة فلس واحد.

**مسألة**: ماذا أصنع مع المساكين الطارقين الدار؟

**الجواب**: اعمل بقدر ما هو في يدك وأعطهم ولو كسرة خبز أو قدح ماء بارد، أو فلسين جُد بهما على السائل وهكذا يمجد اسم الله.

**مسألة**: إذا كانت خدمة التوزيع للمساكين تحتاج إلى مساعدين، فإن اتخذت قوماً أظن الثقة فيهم، فهل سبيلي أن أشك في ائتماني بهم على هذا الأمر؟!

**الجواب**: طالما وثقت بهم فلا تقسم فكرك في ائتمانك بهم لأن الأشياء كلها عند الله ظاهرة وهو عالم بما في قلوبنا ويكافئ كل

واحد كحسب عمله، فإن خانوا فلنفوسهم يخونون وسيأخذون أجرة خيانتهم.

**سؤال**: إن وجدت أحدهم قد خان في شيء ماذا أصنع؟ هل أوبخه وآخذ ما اختزله أم لا؟!

**الجواب**: إن تحققت بنفسك إنه قد خان في شيء، فكر جيداً وتأمل فإن كان يحتمل فكره التوبيخ، حينئذ تكلم معه واكشف الأمر بينك وبينه بوداعة وعظة إلهية وستعرف وتميز إن كنت ستأخذ منه ما قد خان فيه، ولكن إن علمت إنه لا يحتمل ولا يصبر على التوبيخ فلا تؤذه لئلا يقبح أكثر، ويخرج الأمر إلى ما هو أكبر فالأفضل اتركه واترك ما اختزله فهو أخذ مال الله، والله ذاته يعرف أكثر منا، فقد يجوز ما أخذه كان في حاجة ماسة إليه، فالله يعرف كيف يدين خليقته.

**سؤال**: هل يجب أن أثق به بعد ذلك؟

**الجواب**: إن عُلِمَ منه إنه فعل هذا دفعة أخرى وهو يحرص على إفساد الأمر والخيانة فلا تثق به بعد ذلك، ولكن إن كانت طريقته صالحة وفيما حدث سابقاً قد خدعه إبليس أو دعته الحاجة إلى ما أخذه، فلا تخف أن تثق به فيما بعد لأنه بلا شك سوف يصلح ما أفسده ويستقيم حاله وينصلح.

**سؤال**: إن أعطى إنسان شيئاً لي لأقسمه على المحتاجين بشرط أن يكون لمحتاجين معينين في المكان الفلاني، ووجدت بقرب هذا المكان قوماً آخر في غاية الفقر فهل يوجد خطية لو أعطيتهم شيئاً؟

**الجواب**: ليس هناك خطية إذ كانوا محتاجين جداً إن أعطيتهم شيئاً، لأنه قد يجوز أن الذي أعطاك لم يعرف أولئك القوم المحتاجين، ولكن إن كان المعطي قد خصص لك وأفرز لك موضعاً معيناً قائلاً لك لا تعطي خارج عنه شيئاً بل في الموضع الذي قلت لك عليه هو نفسه توزع وتقسم على المحتاجين فلا تتجاوز وصيته، وإلا يجب أن تُعلِمه بما تريد أن تفعله.

**سؤال**: يوجد قوم ظاهر ومكشوف يأخذ من مما يُقَسم على المحتاجين، ويوجد قوم آخر يستحي أن يأخذ ذلك جهراً أو في الملأ لأجل نسبهم وحسبهم، فهل نميز ونفصل بين هؤلاء أم نعطي الكل بالسوية؟

**الجواب**: جميع الآخذين جهراً يكونوا عندك في منزلة واحدة ولو كان منهم أناساً بهم مرض أو ألم فيجب أن يزدادوا ولو يسيراً، أما المحتشمون لأجل نسبهم وحسبهم فأعطهم ما تفضل عن الأولين وحسب ما تملك وتطول يدك.

**سؤال**: يقاتلني فكري عندما يَصعُب علىَّ أن أعطي المساكين الأجود وأمسك لنفسي ما هو دون؟ وإذا طرقني آباء أفكر في أن أؤثرهم ( أفضلهم ) على المساكين وأريد أن أنيحهم حسب طاقتي، فيا ترى فكري هذا جيداً أم لا؟

**الجواب**: إن لم تصل بعد أن تساوي نفسك بين الضعفاء، وإن لم تبلغ بعد إلى رتبة من يحب قريبه كنفسه، فافعل بحسب قدرتك عارفاً بضعفك وأعطهم ما هو عندك من الطبقة الثانية.

أما من ناحية الآباء فيجب أن تؤثرهم وتقدمهم لأنهم عبيد الله اختارهم لخدمته، ومكتوب "أعطي الكرامة لمن له الكرامة "[1]، فإن الرب نفسه آثرهم وقدمهم على شعبه.

**سؤال**: هل يمكن أن نعطي بركة الآباء لإنسان غريب الجنس أي مخالف ( في الإيمان ) إذ كان محتاجاً؟

**الجواب**: لا ينقسم فكرك في أن تعطي المساكين بركة، ولا سيما إذ كانت هذه العطية رحمة ولأي إنسان حتى لو كان غريب الجنس لأن بهذه البركة التي يأخذها تسري فيه قوة من الله تحثه على أن يعود إلى معرفة الحق.

---

([1]) رو ١٤: ٧.

## من أقوال الأب برصنوفيوس:

سأل الآب يوحنا تلميذ القديس برصنوفيوس قائلاً: أسألك أيها الأب أن توضح لي هذا الأمر حتى أرجع مسروراً إذا ما عرض في فكري أن أصدق من مالي، فالأوفق أن أعمل وأصدق قليلاً قليلاً أم أعطي ما أعطيه دفعة واحدة؟

فأجابه القديس قائلاً: أيها الأخ ليست في كفاية أن أجاوبك كما يليق إلا أن يمكن لي من الكتاب أن أعطي جواباً، فالكتاب يقول: " لا تقل للضعيف امض اليوم وعُد غداً فأعطيك وأنت قادر في يومك على الإحسان إليه " [1] لأنك لا تعلم ماذا يحدث في الغد، فكل واحد يصنع كقدر طاقته فالذي يقدر أن يعطي من عطاياه قليلاً فليعط، فمثلاً نجد واحد يُعشر ماله وآخر يعطي الربع وآخر الثُلث وآخر النصف، فكل واحد حسب طاقته وكحسب قدرته وما تبلغ إليه يده.

أما من يريد أن يبلغ إلى المقدار الكامل من الفضيلة فلا يسألني أنا الحقير عن ذلك بل يسأل المعلم طبيب النفوس الإله يسوع المسيح ليجيبه كما أجاب الشاب الغني قائلاً له: إن شئت أن تكون كاملاً بع جميع ما تملك وأعطه للمساكين، وتعال اتبعني، فسيصير لك

---

([1]) أم ٣: ٢٨.

كنزاً في السماوات " [1] فلنَجد في فعل الخير قبل أن نؤخذ من هذا العالم، لأننا لا نعرف اليوم الذي نُستدعى فيه ونخرج منه، فلنحترس لئلا نوجد في ذلك اليوم عُراة وغير متأهبين ولا مستعدين ويُغلق الباب في وجوهنا مع العذارى الخمس الجاهلات اللواتي ما أخذن معهن زيتاً في آنيتهن لإيقاد مصابيحهم، فلنصنع الإحسان حسب قدر طاقتنا والسيد صالح هو يدخلنا إلى خدره مع العذارى الحكيمات حيث الفرح الذي لا يُعبر عنه بألفاظ.

**من أقوال القديس أثناسيوس بطريرك الإسكندرية:**

سُئِلَ البابا أثناسيوس: إذا كان الرسول بولس يقول لا تكن صدقتكم من حزن أو من ضرورة لأن الله يحب المعطي الباش [2] فهل لا يجب على الإنسان أن يغصب نفسه ليفعل الرحمة؟

أجاب البابا أثناسيوس قائلاً: فعل الإنسان ببشاشة هو من صفات الكاملين، أما الإنسان الذي يغصب نفسه على فعل الصدقة فهو مقبول أمام الله القائل: " الغاصبون نفوسهم هم يخطفون ملكوت الله " [3] فلا نتخلى عن عمل الرحمة.

---

(1) مت ١٩: ٢١.

(2) ٢كو ٩: ٧.

(3) مت ١١: ١٢.

**سؤال**: كم مقدار ما يجب أن نقدم لله من أموالنا؟

**الإجابة**: إذ كان الوثنيون والذين لا ناموس لهم يقدمون بنيهم وبناتهم ضحية لآلهتهم، فأي عذر لنا نحن المؤمنون إذ لم نقدم لله جسدنا ذاته، وما نكون قد عملنا شيئاً مساوياً لما جاء به علينا.

**ومن أقوال القديس يوحنا ذهبي الفم:**

بمقدار ما ينال الإنسان من الإحسان بمقدار ما يؤهل للعقاب إن لم يشأ أن يصنع إحساناً، ولقد رسم لنا السيد المسيح أن نزداد في العطاء أكثر من الكتبة والفريسيون وإن لم تكن عطايانا عن أولئك زائدة لا نستطيع الدخول إلى ملكوت السماوات [1]. فماذا كان أولئك يعطون من الرحمة؟ فكانوا يعطون العشور والبكور من الغلات والبهائم ويقدمون أيضاً تقدمات وقرابين ومحرقات كفارة للخطية والإثم وللسلامة والشكر وأشياء أخرى كثيرة من هذا القبيل. وكيف تقول ارحمني يا الله حسب عظيم رحمتك وحسب كثرة رأفتك وأنت لا ترحم حسب هذه الرحمة العظمى وربما لا ترحم كحسب الحد الأدنى للعطاء والرحمة كما رسم وأوصى في الإنجيل إن لم يزد بركم عن الكتبة والفريسيون لن تدخلوا ملكوت السماوات.

---

(1) مت ٥: ٢٠.

اعلم إن الله قادر أن يعول كافة المساكين والمحتاجين في العالم كله، فهو قادر أن يمطر لهم احتياجاتهم مثل بني إسرائيل في البرية ومثل إيليا فجعل الغراب يعوله وكدانيال في جب الأسود، لكن الله أمسك عن ذلك وضبط العطية كي يُظهر ويميز القلوب الحسنة الثابتة في المحبة فهو متى رآهم مضغوطين يهتم بهم ويمنح لهم يداً ويسدي إحساناً لمن يسدي لهم إحساناً.

**سؤال**: من هو المسئول على توزيع الصدقة؟

**الإجابة**: حسب تعاليم الآباء الرسل أقاموا أناس مشهوداً لهم ومملوئين من الروح القدس ليخدموا الفقراء[1]، فيجب أن نختار رجال صالحين يوزعون على المحتاجين وكل واحد فيهم يجب أن يعرف جيداً المحتاجين وينظر في مصالح البائسين ويتصرف كم يكون الله ناظراً إليه ليدبر الأمور حسناً.

---

(1) أع ٦: ٣.

# معنى الصدقة ووجوبها[1]

## من تعاليم آباء البيعة في معنى الصدقة:

الصدقة نوع من أنواع الرحمة إذ يجود الإنسان بأمواله على المحتاجين رحمة بهم لا طلباً في مدح أو كرامة تشبهاً بالخالق الذي له المجد حسب قول الكتاب المجيد: " كونوا رحماء مثل أبيكم السماوي "[2] ولهذا يمكن القول أن الصدقة صفة إلهية، والصدقة أيضاً هي قرض عند الله ليوم الحساب، وهي وديعة في خزائن الله تأخذها يوم الحكم، وهي تجارة مكسبها الحياة الأبدية، الصدقة قرابين مقبولة محمولة على الهياكل الناطقة، والصدقة أيضاً علامة طاعة الإنسان لأقوال الله لأنه قال: " بيعوا أمتعتكم وأعطوا رحمة واتخذوا لك أكياساً لا تبلى وكنوزاً في السماء لا تفنى "[3] وقال أيضاً: " أريد رحمة لا ذبيحة "[4] و " إن أردت أن تكون كاملاً امض وبع كل ما لك وأعطه للمساكين وتعال اتبعني "[5].

---

(1) من مخطوط ١٨٧ نسكيات بمكتبة دير السريان العامر.

(2) لو ٦: ٣٦.

(3) لو ١٢: ٣٣، ٣٤.

(4) مت ١٢: ٦.

(5) مت ١٩: ٢١.

مكتبة
دير السيدة العذراء (السريان)

ومدح الرب الرحماء قائلاً: " طوبى للرحماء فإنهم يُرحمون " [1] كما أوصى قائلاً: " لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث الآكل والسوس يفسد والسارقون يتحيلون فيسرقون بل اكنزوا لكم كنوزاً في السماء حيث لا آكل ولا سوس يفسد ولا يتحيل السارقون ويسرقون فحيث يكون كنزكم هناك يكون قلبكم " [2] والكتاب المقدس عرفنا أيضاً مع الصدقة تقبل الصلاة والصوم كما قيل لكرنيليوس [3] وأيضاً قال الله على لسان يعقوب الرسول: " دينونة من لم يستعمل الرحمة تكون بغير رحمة " [4]. وعرَّفنا أيضاً السيد المسيح أنه سيكافئ الأبرار الذين عن يمينه قائلاً: " تعالوا إليَّ يا مباركي أبي رثوا الملك المعد لكم قبل إنشاء العالم لأني جعت فأطعمتموني وعطشت فسقيتموني وغريباً كنت قآويتموني ومحبوساً فأتيتم إليَّ ومريضاً فافتقدتموني " [5]. وكثيراً من هذه الأقوال يأمر بها الله من أجل الرحمة، فإذاً قد ثبت وجوب الصدقة شرعاً وعقلاً، وطالما الأمر هكذا ننظر إلى هذا العمل في عدة جهات أولاً في جهة تحصيل الأموال

---

(1) مت ٥: ٧.

(2) مت ٦: ١٩ – ٢١.

(3) أع ١٠: ٤.

(4) يع ٢: ١٣.

(5) مت ٢٥: ٣٤ – ٣٦.

التي يتصدق بها، ثانياً النظر في أحوال وظروف لمن تعطى له الصدقة، ثالثاً النظر في طريقة إعطاء الصدقة، ورابعاً النظر في جهة من يُفَضل أولاً لتُعطى له الصدقة ثم من يأخذ ثانياً، والجهة الخامسة يجب معرفة من يجب أن تُعطى له الصدقة ومن لا يجب أن يأخذ صدقة، والجهة السادسة مَنْ هو المسئول على توزيع الصدقة؟

بقية الفصول ستوضح هذه الجهات في عمل الرحمة

# الصدقة ( الرحمة ) [1]

## الكل يُعطي:

القول عن عطاء الصدقة أيها الإخوة لن يشمل الأغنياء والأراخنة فقط، بل والفقراء والمساكين أيضاً، لكونه نافعاً جداً ومخلصاً للإنسان حتى لو كان عائشاً من الصدقة ... فلن يوجد إنسان مترملاً وفقيراً لدرجة أن ليس قادراً أن يمتلك فلسين من حطام الدنيا، لأنه ممكن للإنسان أن يعطي قليلاً من القليل الذي عنده وبذلك يكون أكثر فضلاً وأجراً من الذي يعطي من فضلته كثيراً، كالأرملة ذات الفلسين، فإن الله لا يطلب منا كمية الفضة المعطاة بل إنه ينظر إلى ضمير المعطي، فمن هنا يعد عظم الصدقة وجزائها ومن ثم نتبين الحق الواضح أن كيف تلك الأرملة أعطت الفلسين اللذين كانا لها لا غير ولم تحزن ولم تكتئب لذلك مدحها الرب لفضلها لأنها لم تلتفت إلى الغنى بل التفتت إلى الاعتناء والاجتهاد في محبة العطاء هكذا متى امتلكتنا الشفقة ونحنا على البائسين فلا يعيقنا عائق الاحتياج عن مواساتهم وبعكس ذلك متى عدمنا الشفقة والبشاشة لم تفدنا اتساع

---

(1) من المقال الرابع عشر – للقديس يوحنا ذهبي الفم - من مخطوط ١٩٨ ميامر وعظية بمكتبة دير السريان العامر.

ثروتنا بشيء. لهذا يكون عقاب الأغنياء القليلي الرحمة أشد مرارة وبؤساً لأن سعايتهم للغناء وحبهم للملاذ لم يجعلهم يترأفون ويصنعون رحمة للمساكين.

## نموذجاً للعطاء ومحبة الغرباء:

" من يزرع بالبركات فبالبركات يحصد ... ليس عن حزن أو اضطرار. لأن المعطي المسرور يحبه الرب " [1].

لذلك يكون هناك عقاباً لمن يعطي بالشح، فإن كان الأمر هكذا يمكن أن تسأل: هل يمكن للغني أن يخلص؟

نعم ألم يكن أبونا إبراهيم غنياً ووافر الثروة أكثر من جميع الناس، تأمل فرط محبته للعطاء وإضافة الغرباء لقد قال الكتاب الإلهي [2] أن عند انتصاف النهار ظهر الله لإبراهيم في هيئة ثلاثة رجال عابري طريق وهو وقتئذ رابض عند " بلوطات ممرا "، فلما رآهم أسرع في الحال مبادراً لاستقبالهم ببشاشة وسرور، فرحب بهم بإكرام جزيل – بالرغم من أنه لا يعلم أن القادم عليه هو الباري – وسجد لهم قائلاً: يا سادتي ألا تنزلون متفضلين إلى حيث منزلي الوقتي ولو كنت غير أهل لذلك.

---

(1) ٢كو ٩: ٦، ٧.

(2) تك ١٨: ١ – ١٤.

يا أخي لقد شاهدت ما الذي كان يصنعه الشيخ الكريم عند انتصاف النهار في وقت الظهيرة فما كان جالساً تحت سقف بل كان كغريب جالساً على الطريق باسطاً شبكة رحمته ليقتنص محبة الغرباء لئلا يفوته عابر أو ابن سبيل من غير أن يضيفه في منزله.

**مباشرة العطاء ومكافئة الرب:**

تأمل ما صنعه إبراهيم أب الآباء، فإنه لم يرسل عبداً في تنفيذ أغراضه في محبة العطاء مع إن كان له ثلاثمائة وثمانية عشر عبداً، فكان يخشى أن العبد لا يعمل ويتكاسل ومن تهاونه ينعس وينام فيتعداه الغريب دون أن يشعر به، لهذا باشر هذا الأمر بذاته فكان بنفسه يمضي ويجلس على قارعة الطريق في حر الهاجرة. شاهد هذا هو إبراهيم وتأمل هذا الذي هو بالحقيقة غني، فقل لي أيها الغني هل تنزل بنفسك لتنظر إلى الفقير أو تزوره؟ يا ليتك ترد جوابه وتكلمه بكلمة تعزية إذا أردت حقاً أن تتصدق عليه. تأمل في قول الكتاب نهض إبراهيم وسجد لهم وهو لم يعرفهم لأنه لو كان يعلم من هم، ما كان فعله هذا عجباً لكونه خدم الله وبجله ولكن عدم عرفانه بهم أظهر اشتياقه الزائد جداً لمحبة الغرباء. ثم دعى سارة قرينته ليشتركا اثنانهما معاً في محبة الغرباء، هكذا ينبغي أن يتفقا سوياً بالمحبة الرجل وامرأته في محبة الغرباء وفي الصوم والصلاة والصدقة وغير

ذلك من الفضائل – وقال لها انهضي واعجني خبزاً جيداً لنضيف هؤلاء المحبين الذين أرسلهم الله لنا. سارة المحبة أيضاً للغرباء لم تخالف أمر ما قاله لها زوجها، فلم تقل كما يقلن نساء زماننا: ما هذا الذي أصابني منك ألعلي طحانة أم خبازة حتى أعجن لك خبزاً، يكفيني غناي وجهازي ها الخادمات كثيرات أمامك لِمَ لم تأمرهن بذلك أتريد أن تستعبدني؟ فلم تقل سارة هكذا – التي هي بالحقيقة غنية – بل للوقت أكملت ما أمر به زوجها. قل لي أين تجد اليوم مثل هذه الامرأة في النساء؟! هل ترى يتنازلن ليعملن بمقتضى أمر أزواجهن؟! لا أظن بل تنظر أيديهن مزينة بالذهب الثمين فقط، ويا ليت شعري كم مقدار ما هن حاويات من استغنام مال الفقراء؟! وكم هن مملوءات من الاستكثار والطمع؟! انظر إلى يد أمنا سارة لتراها بأي شيء متحلية ومزينة؟! فلا ترى شيئاً إلا أنها متحلية ومزينة بالرحمة ومحبة الغرباء وممتلئة من الرأفة والإشفاق على المساكين.

أما إبراهيم فبادر بجد ونشاط إلى سرب بقره ليذبح العجل السمين، وكان يفعل ذلك نشيطاً كشاب لأن شوقه ومحبته الفائضة نحو عمل الرحمة ومحبة الغرباء كانت تعضده وتقويه، سيد العديد من العبيد كان يؤدي عمل الخير بنفسه، لذلك قال الضيف الحاضر عنده: مستحق أن ينال إبراهيم مجازاته عن قبوله للغرباء واستقبالهم

بالرحب والسعة، إني سآتي في العام المقبل مثل هذا الوقت ويكون لسارة ابن.

هذه هي ثمار المحبة فلا تتخيل متى أعطينا من مالنا رحمة للمساكين إنه ينقص أو يتبدد بل يتضاعف ويتكاثر لأن مال الإنسان الرحيم لا يشوبه نقص بل نقوده تتزايد أضعافاً، فالمعروف لدى الجميع ان الربح يأتي من التجارة أو الصناعة أو الزراعة، وقد يحدث أن الإنسان يفقد الجميع ... أما الذي يضع ماله في يد المسيح فيصان من كل آفة وبلية، فلا يجسر أحد على أن يختلس من يد السيد المسيح بل إنه يبقى دائماً، إن كان أحد من البشر أخذ شيئاً من آخر لا يقدر أن يحتقره بل يعوضه خيراً عن عطائه فكم بالحري السيد المسيح يعوض خيراً أكثر وأكثر مما أخذ، إذ كان الله يمنح العطايا دون أن يأخذ فكم بالأولى لو أخذ، أتعتقد ألا يعطي؟! مستحيل طبعاً. اسمع الآن قول سليمان الحكيم: " من يرحم مسكيناً يقرض الرب " [1] أشاهدت أمر أعجب من هذا يفوق إدراك العقول ... فكيف نحن نترك الباري الحسن المجازاة والوفاء الذي يهب خيراته ويعطينا حقنا عوض الواحد مائة ضعف وأيضاً غفران خطايانا ونقرض من لم يوفينا شيئاً، فقل لي أي ربح يوفينا إياه البطن الذي نجتهد من أجله ونكد لخدمته وبسببه

---

(1) أم ١٩: ١٧.

ننفق جميع أموالنا وتصير للزبالة والنجاسة؟! وأي إكرام يمنحنا إياه المجد الفارغ الذي يدفعنا إلى الكبرياء والحسد والحزن والعداوة؟ وأي نتيجة تنتج لنا من البخل والشح سوى الهموم والحرص الرديء؟ وأي شيء نربحه من الزنا ومحبة ملاذ العالم سوى نار جهنم الذي لا يطفأ والدود الذي لا يموت؟! فيا للعجب من أجل تلك الأشياء ننفق أموالنا ونصير لها عبيد والله لا نستأمنه فلا نعطيه من مما أعطانا إياه. يا له من عقاب مخلد سنربحه! فلماذا أيها الأخ لا تعطي لمن يوفيك أكثر من حقك؟! ألعل تقول إنه يتباطئ عليك في العطاء ولقد نراه يعطي كثيراً لنا، فحاشا لله أن يكذب، إذ هو القائل: " اُطلبوا ملكوت الله وبره وهذه الأشياء تُعطى لكم " واعلم يا أخي كلما أبطأ الباري في أن يعطيك، فسيكون ربحك زائداً وأعظم، ولنا قياس في هذا الأمر فأولئك الذين يقرضون إنهم يحبون إن المديونين يبطئون في الوفاء حتى تتضاعف فوائد القرض لأموالهم، فإن أوفوا ( سددوا ) ما عليهم سريعاً فبذلك يحجبون عنهم فوائد قرضهم، فلذا إذا أبطأوا في وفاء الدين لا يثقلون عليهم بل يخفضون لهم جناح الدعة حتى يبقى قرضهم ويتوافر لهم ربحه، تأمل هذا ما يفعله البشر، ونحن إذا أقرضنا الله شيئاً نصير لحوحين ومتضايقين غير مدركين عظم معنى " من يرحم مسكيناً يقرض الله " فيا لعظم محبتك للبشر وتحننك أيها الرب الإله لكونك

تقترض منا نحن العبيد الأذلاء لأجل رحمة المساكين ... لنتأمل عمل أب الآباء إبراهيم الذي كان لديه ثلاثمائة وثمانية عشر غلاماً ولم يأمر واحد منهم أن يمضي إلى القطيع بل هو بنفسه عاين أمر خدمته بالرغم إنه كان هرماً نحيفاً أسرع عاجلاً وذبح العجل من قطيعه، فلا تخجل مستحياً من أن تخدم المسكين بيدك وأنت رجل معتبر، فإذا كان السيد المسيح خالقك لا يستحي من أن يمد يده ويتناول الصدقة المعطاة للمساكين، فكيف أنت يا مخلوق تستحي أن تمد يدك وتعطيه جزء يسير من فضتك أو كسرة من الزاد، فبالحقيقة عدم فعلك هذا هو عين الحياء والخجل، إذ كان كأس ماء بارد تمنحه للضعيف يصير لك أجراً في ملكوت السماوات، فكم وكم لو دعوت المسكين إلى غناك وجعلته شريكاً لك على مائدتك ونيحته بشفقتك، قل لي كم من مقدار ثمر الخير تربح؟! لذلك يجب علينا لا نعار من خدمتنا للمساكين ونياحهم لأن أيدينا تتقدس بواسطة خدمتهم وإذ رفعناها في الصلاة، ينظرها الله مباركة فيتحنن علينا ويعطينا سؤالنا ويتممه لنا. كثيرون هم الذين يهبون الصدقة ولكن الذين يخدمون المساكين بذواتهم ويفعلون ذلك بشوق واشتهاء هم قليلون. أخبرني إذا كان أحد يساعدك في الأمور العالمية ويتعب معك وقت الشدائد فإنك تستقبله متى رأيته بطلاقة وبشاشة وتظهر له الفرح

والابتهاج وتهديه بالتحف والهدايا وتصير له كالعبد. فكم بالحري إذا رأيت السيد المسيح آتياً هل تستهين باستقباله أو تتقاعد عن خدمته؟ فالحق أقول لك إن لم تستقبل الغريب كأنه السيد المسيح فإنك لا تكون استقبلته أصلاً.

فالرحمة تصعد الإنسان إلى علو شامخ وتسبب له دالة عظيمة عند الله وكما أن الملكة إذا أرادت الدخول إلى بساط الملك فلا يجسر أحد من بلاط الملك أن يعترضها بل يستقبلونها بابتهاج، هكذا الحال مع من يعمل الرحمة والصدقة فإنهم يمثلون حيث عرش النعمة من غير عائق لأن الرب الإله يحب الرحمة حباً جماً فهي التي تقف بجواره لقد قال الكتاب: " قامت الملكة عن يمينك " هذه هي الرحمة التي هي أول بنات الله وهي التي جعلت الله أن يصير متجسداً لأجل خلاصنا.

## الرحمة أعظم من المعجزات والفضائل:

ليس قول السيد المسيح: هلم يا مباركي أبي رثوا الملك المعد لكم من قبل إنشاء العالم " من قبيل أنكم صنعتم العجائب والآيات والمعجزات الباهرة بل هذا القول بسبب " جعت فأطعمتموني وعطشت فسقيتموني وكنت غريباً فآويتموني " فعدم صنع المعجزات لا يضرنا شيئاً ولا يطلب منا الله جواباً عنها وإنما يطلب منا الرحمة ومحبة الغير وبها يكللنا بأكاليل نورانية حتى لو لم نصنع أعجوبة واحدة.

الرحمة هي أم الفضائل وتتقدمهم جميعاً ولها فاعلية وقوة أعظم، فمثلاً لو كنت صوَّاماً ولكن عديم الرحمة، فلا يفيدك تعب الصوم شيئاً بل تكون مساوياً للحنجري والسكير بل أسوأ منهما لكون القساوة وعدم الشفقة الإنسانية أسوأ من هاتين الخصلتين السيئتين، نترك أمر الصوم وأقول لك لو حفظت الطهارة والبتولية التي لا يوازيها في الشرف أعظم الفضائل .. فمع ذلك من الممكن أن تقف خارج الخدر السمائي من تلقاء عدمك الرحمة، ألا تعلم أن العذارى البتولات كيف إنهن طردن من حضور العرس السمائي وذلك لعدم اقتنائهن الرحمة. فمن يخلو من عمل الرحمة لا يجد صفحاً عن سيئاته.

**لا تعش لذاتك ولا تخف على أولادك:**

لا يستطيع أحد أن يعيش بمفرده، منعزلاً من غير علاقة باحد، فالصانع لا يستغنى عن الفلاح ولا الفلاح عن التاجر ولا التاجر يستغنى عن الجندي بل الجميع يتعبون لأجل احتياجاتهم، فنحن من باب أولى يجب علينا أن نتعب من أجل الأمور الروحية، لهذا فإنه جيد هو الإنسان الذي يعيش لفائدة الجميع لا لذاته وحده ولا يتغافل عن الآخرين، فالذي يهتم فقط بنفسه وهذه كانت خصلته، فهو غير عاقل كالأعمى يسير متخبطاً ويماثل الطماع الذي يتخيل إنه لن

يمكن يكتفي من القنية إلا إذا اقتنى الدنيا بأسرها ومع ذلك يشعر بالفقر والحزن مدى حياته.

أما من يحب أن يصير غنياً فليصير أولاً فقيراً بسبب أعمال الرحمة، وبعد ذلك يصبح غنياً هنا على الأرض وهناك في السماوات يكون له كنزاً لا يفسد. تأمل الفلاح كيف يبذر الغلال الذي عنده وفي بعض الأحيان يقتض حنطة ليزيد بها زرعه، فلماذا أنت أيها الأخ الحبيب لا تواسي المحتاجين وتبذر عندهم زرعك حتى تحصد منه ثمراً جزيلاً روحانياً باقياً بغير فناء؟! فيمكن أن تسأل قائلاً: كيف أستطيع أن أفرق وأبذر ما عندي وأنا صاحب بنين وبنات؟ وأنا أود أن أتركهم أغنياء من بعدي ذوي ثروة واسعة ولكن مضمون كلامك يجعلهم فقراء متسولين.

أما أنا فأجيبك حقاً ويقيناً إن أردت أن تترك جميع مقتنياتك لتكون ناصرة لهم، فلما تتركها لهم في مكان غير مضمون وبسببها أولادك يكونون غير محفوظين وفي خطر، فالأليق أنك تجعل الله الخالق مؤازراً لهم وهو الوكيل عليهم، فيكون لك هذا إرث ثمين أفضل من كنوز كثيرة.

فمن جهة تريد أن تخلف لأولادك غنى وافراً فاتركهم لله وديعة ليعتني بهم ويتعهدهم. الله الذي جبلك وجبل أولادك ويعرف تماماً

احتياجاتك النفسية والجسدية، إذ رآك مظهراً لديه التكريم والتبجيل ومحبة الغرباء والمساكين والشفقة والتحنن، فكيف لا يمنح أولادك ما يحتاجونه ويفتح أمامهم باب غناه وحنوه. تأمل إيليا البار الذي تغذى بشيء يسير من يد الأرملة، عندما شاهد عمل تلك الأرملة الرحيمة بأن فضلته على ابنها ورأت أنه من الأفضل تموت هي وابنها جوعاً ولا تتغافل عن الغريب وتخجله، فللوقت صير النبي منزلها بَيدراً ومعصرة، فميز أنت بعين بصيرتك وأنظر مقدار الكرم والخير التي يعطيها لك السيد الرب أكثر من إيليا.

حقاً إن أردت أن تترك أولادك أغنياء موسرين فاجعل الله لهم مديوناً، لأن لو أخذ أولادك مالك من بعدك فمن الممكن لا يعرفون كيف يحفظونه ولا يدرون لمن يعطونه أو كيف ينفقونه، أما إن سبقت أنت وأقرضته لله على أيادي الفقراء والمساكين فيصان لهم كنزاً غير مسلوب منهم فيما بعد ويحصلون على المكافأة الثمينة بسهولة لأن الله صار مديوناً لهم ... ويعتني بهم ويكرمهم.

فلِمَ تأمن العالم على أموالك والسيد المسيح حاضر عندك – أعني المساكين والفقراء – فإنه يتناولها من يدك ويحفظها لك بازدياد ويعوضك عنها أضعافاً كثيرة ولا يجترئ أحد أن يأخذها من يده، وليس يحفظ السيد المسيح ما تعطيه له فقط بل وينقذك من أخطار

نفسية وجسدية كثيرة ... لهذا أعطاك الله مالاً لتعطي منه أناساً آخرين محتاجين وإن فعلت ذلك سيكون محفوظاً لك حفظاً وثيقاً، أما إذ استأثرت بالمال وحدك فسيأتي الوقت الذي تكون فيه خالياً منه وصفر اليدين، أما إن وزعته على المحتاجين فتكون قد صُنت مالك وحفظته، فكما أن الأب إذ أعطى ابنه جزءاً من ثروته فإنه يقيم له عبيداً ليساعدوه على حراستها بزيادة. هكذا الله أقام لك المحتاجين لكي تعطيهم فلا يستطيع ظالم أو لص يختلسها منك ولا الشيطان نفسه كما فعل مع أيوب، ولا الموت يقدر أن ينزعه منك لأنك حفظت أموالك بين أيدي الله فسيحفظها لك كنزاً في السماوات.

**لا تهن فقيراً:**

قد ترى شاباً مسكيناً بائساً فتقول عنه إنه شاب معافى وغير مريض إلا إنه لا يقبل شغلاً ويحب أن يقتات من غير تعب، فقل هذا الكلام لذاتك ووجه الملامة لنفسك ولا تبكت المسكين بل بكت نفسك بأنك لا تعمل العمل الذي أمرك به الرب، لعلك تقول: " إنه كذاب ويتصنع الفقر "، فأقول لك ومن هذه الجهة هو مستحق الرحمة، لكونه سقط في مثل هذه الشدة حتى اضطره الأمر أن يفعل ذلك، فبدلاً من أن نرشده ونُسيّسُه، نقذفه بأقوال غير لائقة ... فالذين يطربونك بالمدح والكذب المصطنع تطعمهم بسرور ولا تعد ذلك

خسارة البتة، أما إذا رأيت فقيراً مقبلاً نحوك وهو يتضرر جوعاً، مصاباً بالبرد والتعب فلا يكفيك أن تنكب عنه معرضاً بل تأخذ في قذفه وذمه وتستشيط عليه قائلاً: " لماذا لا تشتغل أتريد أن تأكل من غير تعب " فلماذا تعير المسكين أخاك وتستهين به، فإن قلت لي إني لا أعيره لأجل أنه مسكين بل من أجل أنه عديم الشغل وطواف. أجبتك: من أجل القليل من الطعام أو من أجل ثوب تقول كل هذا على أخيك، لماذا تنظر إليه إنه كسلان، ألعله في شدة، ألعله في ألم، أو في ظُلم، أو في مرض، أو في سرقة، أو في حريق، أو مغلوب من أي شدة ... فلا تعين الفقير ولا تكسر بخاطره فإن شئت أن تعطه فأعطه وإن لم تشأ فاصرفه مجبوراً دون أن تهينه ... ومتى أحببت أن تصنع معهم صدقة فلا تطلب منهم تصرفاً حسناً وعيشة غير مذمومة – هذا هو الجهل الصريح – لأن لأجل كسرة خبز تمنحها للمسكين تريد أن تبحث عن سيرته. وكيف هي حياته .. أنظر كيف سيدك يسوع المسيح يشرق شمسه عليه، أليس هذا هو مخلوق مثلك!!

**أشفق لأجل من مات لأجلك:**

الله قد دفع ابنه الوحيد للموت لأجلك، وأنت تأبى أن تدفع ولو جزء يسير من قوتك. ذلك الذي دُفعَ من أجلك، ومات ذبيحة عنك، ولم يشفق عليه أبوه بالرغم إنه ابنه ووحيده أيضاً وأنت تراه مغشياً عليه



مكتبة
دير السيدة العذراء (السريان)

مضمحلاً من الجوع والعري ويسألك أن تنفق عليه من الذي هو له أما أنت فتأخذ ماله وتنفقه على أهوائك وتبدده دون نفع، فهل يوجد جهل أكثر من هذا؟! أو هل يوجد عدم شكر وعرفان بالجميل أكثر من هذا؟! المسيح لأجلك مات مذبوحاً وأنت تراه ماراً بك جائعاً وأنت لا تعطيه شيئاً وذلك لمنفعتك هل صرت عديم الحس كالحجارة الجامدة ... تأمل السيد المسيح الذي صلب عرياناً لأجلك، فها هو يقول لك أنني لا أطلب منك أن تخلصني من الفقر الذي أنا واقع فيه ولا أن تهبني غنى وثروة بل محتاج منك خبزاً فقط وكسوة وتعزية قليلة، فإن كنت في سجن أو معتقل فلا أبتغي منك أن توفي دينك وتخلصني بل أن تأتي إليَّ وتنظرني كيف إني مربوط لأجلك، فيكفيني هذا الخير منك .. فمتى اجتمعت المسكونة كلها يوم الدينونة الرهيبة أنشد بك أمام الجميع وأقول لك ها هوذا الذي كان يعولني ويكسوني، ولا أخجل مستحياً من قولي هذا بخلاف ما تظنونه أنتم، لأنكم إن أكلتم من أحد شيئاً تستحون أن تخبروا به أحداً وتسترون على أنفسكم لئلا يعلم أحد بأمركم. أما أن فمحب لكم إلى الغاية القصوى. فأنشر ما فعلتموه بي بتغريدات مبهجة، أظهره بلا خجل قائلاً: لقد كنت عرياناً فكسوتموني وجائعاً فأطعمتموني وأفرح مبتهجاً بجماعة المحسنين إليَّ لكي يصيروا وارثين ملكوتي السماوي.

أيهـا الإخـوة الأحبـاء إذا رسـختم لهـذه الأقـوال ووعيتموهـا في عقولكم، فلنجتهد بكل حرص وبكل قوتنا على خلاص نفوسنا لننال الخيرات الأبدية بيسوع المسيح ربنا، الذي له المجد والقوة مع أبيه الصالح وروح قدسه من الآن وإلى كل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

# حث الأغنياء على عمل الرحمة[1]

**للقديس يوحنا ذهبي الفم**

لماذا تتعب باطلاً أيها الغني، وتخطف أموال المساكين وتقرنه بمالك وأنت لا تدري لمن تجمعه. لماذا تمسك مال الأيتام، ولماذا تستشيط على الذين يطلبون منك متاعهم فكأنك تنفق عليهم من مالك، فهم يطلبون مالهم لا مالك، يطلبون منك الأشياء التي دفعت إليك من أجلهم، فأعطهم حقهم الذي لهم عندك واكتسب الثناء لأن الوصية تثني على الذي يعطي ولا يأخذ [2]. يكفيك أن يمد إليك السيد الرب يده ليأخذ من يدك ما تعطيه لأجل المساكين، ذاك الذي يسكب الغيث فيروي العطشان يطلب منك فلساً لتقدمه، ذاك الذي يبرق ويرعد يقول لك " ارحم "، ذاك الذي يجلل السماء بالسحاب يطلب منك طمراً ( ثوباً ) بالية، يكفيك فخراً أن المساكين يأتون ويتضرعون إليك كأنك إله وأنت لا تشاء أن ترفع عينيك لتنظر إليهم، أعط، تراءف، ارحم لتُرحَم، فلا تحزن متى طلبوا منك، أعطهم مالهم قبل أن يأتي يوم الحساب فتُحاسب، أعطهم مالهم واعلم سوف يُرد لك بعد قليل، أعطهم مالهم وخذ من أبيهم طمأنينة لأن أبيهم هو الملك

---

(1) من مخطوط ١٩٧ ميامر بمكتبة دير السريان العامر.

(2) أع ٢٠: ٣٥.

السماوي. وإن سألت: " وما هي هذه الطمأنينة ؟ " فأجيبك بما هو قاله: " ما فعلتم بأحد إخوتي هؤلاء الصغار فبي فعلتم "[1]. والذي يرحم فقيراً بائساً ليس إنه يحل صك خطاياه فقط بل ينال أيضاً ميثاق القائل: " من يرحم مسكيناً يقرض الرب "[2]. فلنقرض الصدقة لله، يا لها من كلمة مفعمة كل حكمة: " من يرحم مسكيناً يقرض الله " لاحظ لم يقل " يعطي الله " بل قال " يقرض الرب "، فلكون الكتاب الإلهي له خبرة بأن لا نمل من الاستكثار ودائماً نتطلع إلى الزيادة، ونطلبها لذلك لم يقل " من يرحم مسكيناً يعطي الله " حتى إذا سمع ذلك محب الدراهم بكناية القرض يميل ذاته قسراً إلى الصدقة.

فمن يرحم مسكيناً يقرض الرب، فإذاً الذي يقترض هو الله وإذا اقترض الباري منا يصبح مديوناً لنا، فلا ترتضي أن يكون الله مديوناً لك لا ديناً، وأنت تعرف أن المديون يُوقر من أقرضه، والدائن لا يستحي من المدين، لهذا يجب علينا أيها الإخوة أن نتأمل بزيادة لماذا قال الله من يرحم مسكيناً يقرضني أنا، كما قلت سابقاً أن الله يعرف إننا نحب ونريد الزيادة، ثانياً أن من عادة المُقرض لا يرتضي أن

---

(1) مت ٢٥: ٤٠.

(2) أم ١٩: ١٧.

يعطي ماله قرضاً في موضع غير محفوظ وغير مؤتمن عليه، فمن العادة أن الذي يقرض دائماً يطلب وثيقة أو رهناً أو ضماناً وبواحد من هذه الأشياء الثلاثة يقتنع بحفظ ماله، ولما تقدم وعلم الباري بأن بدون أحد هذه الثلاثة لا يقرض أحد أحداً ولكون المُقرض لا ينظر إلى محبة بشرية بل إلى الربح فقط والمسكين خال من هذه كلها فلا يملك رهناً فليس معه شيئاً ولا يجد له ضامناً، فلأجل فقره ومسكنته فلا يأتمنه أحداً والله يعلم أيضاً بمحبة صاحب المال لماله لذلك أورد ذاته الطاهرة النقية إلى الوسط وصار ضامناً للفقير ورهناً للمقرض، وكأنه يقول: إن لم تأتمن هذا المسكين لأجل فقره صدقني أنا الواهب الغنى ومعطي جميع الخيرات.

الله ينظر إلى المساكين ولا يتغافل عنهم بل يعطي ذاته رهناً عن الذي ليس له شيء، فبكثرة صلاحه يعين البائس والمتحير ويقول للمقرض: لا تخف على مالك فإنك أنت تقرضني أنا. وإن قال المقرض: وكم هو مقدار ما أربحه منك متى أقرضتك؟! فيجيب الله الباري: متى تعطيني هذه فإني أروم الاشتراط لأُثبت الوعد، فحدد لي زمان واختمه بموعد الوفاء. فاسمع متى يرد لك القرض وأين؟!

متى جلس ابن البشر على كرسي مجده يقودك هذا القرض عن يمينه وتسمع منه قائلاً: " تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد

لكم منذ تأسيس العالم أني جعت فأطعمتموني. عطشت فسقيتموني. كنت غريباً فآويتموني. عرياناً فكسوتموني. مريضاً فزرتموني. محبوساً فأتيتم إليَّ "[1] تأمل فيما قاله الرب: تعالوا إليَّ يا كافة الرحماء والمتحننين، هلم تعالوا يا من عُلتم الأيتام وآويتم الغريب، هلم تعالوا إليَّ يا معضدي الأرامل ومساعدي الضعفاء. هلم تعالوا إليَّ يا مريحي المرضى وجابري المديونين، هلم تعالوا إليَّ يا منقذي المتعوبين، هلم تعالوا إليَّ يا صانعي النياح لكل الذين في الأتعاب مسفوكين.

فهكذا أنا أنيح الذين ينيحون أعضائي – الفقراء والمعوزين – أعطيتموني كسرة يابسة فتنالون عوضاً عنها ملكوت السماوات، أقرضتموني درهماً من فضة فستحوزون به نعيم الفردوس، كسوتموني طمراً (ثياباً) ممزقاً فسأكسيكم عوضاً عنه ثوباً من النور لا يعتريه البلى، سقيتموني كأس ماء فأرويكم من ماء الحياة والراحة، آويتموني في منازلكم تحت سقفكم فسأوهب لكم أن تكونون مع زمرة الملائكة المقدسين، أعطيتموني عطايا زائلة فستحظون بعطايا دائمة باقية غير مضمحلة، وهبتم لي هبات وقتية ستتاولون عوضاً عنها هبات سماوية أبدية، أهلتموني إلى مائدة زائلة فستفوزون ببرد دهري، أعتقتموني من السجن والاعتقال وزرتموني وضمدتموني في ألمي

---

(1) مت ٢٥: ٣٤ – ٣٦.

وأشبعتم جوعي وبردتم غليلي وغسلتم قدمي، ها هوذا قد وهبت لكم حضن إبراهيم مقعداً حسناً، أعطيتموني تراباً وطيناً وحشيشاً مذبلاً فها أعطيكم لآلئ مصونة، ها أعطيكم مالي بأسره، أعطيكم كنز سماوي غير فاسد، غناكم على الأرض مثل الهشيم والحمأة أما غناي فهو مفعم بالنور والحياة والسرور والنياح، فإني متذكر وعارف بما فعلتموه معي وعالم بما منعتموه عن أفواهكم وأشبعتم به جوعي وغير ناسٍ ما منحتموه لي في غربتي لذلك أني أوهب لكم ما في الأرض من الخيرات وجميع مالي في السماوات. حقاً أنتم خاصتي وأصفيائي إلى الأبد.

فمتى رأوا ذلك الذين خدموه في زمانهم وشاهدوا ذلك الشرف العظيم الذي نالوه من قِبَل الذي أقرضوه فيقولون: "يارب متى رأيناك جائعاً فآويناك أو عرياناً فكسوناك ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك "[1] أنت يارب الذي أعين الكل تترجاك فمتى رأيناك بهذا المقدار متضايقاً وتعهدناك وفعلنا مثل هذه الأشياء. فيجيبهم السيد الملك قائلاً: "الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم "[2].

---

([1]) مت ٢٥: ٣٧ – ٣٩.

([2]) مت ٥: ٤٠.

رأيتم كيف الله صادق في قوله من يرحم مسكيناً يقرض الله، وشاهدتم أيضاً أيها الإخوة عظم الأرباح التي ننالها من الصدقة وعلمتم مقدار قوتها وعرفتم نفعها وفوائدها، فليجتهد كل منا ما دام له وقت في هذه الحياة الزمنية الباطلة لكي نقتني هذه الفضائل الروحية.

ثم بعد أن يخاطب السيد المسيح الذين عن يمينه بهذه الخطابة السارة والمفرحة ويدفع لهم هبة محبته، يلتفت مشيراً إلى الذين عن يساره فماذا يقول لهم سوى ابعدوا عني يا ملاعين، فالويل لكم أيها الغير رحومين الذين أضعتم حياتكم هباءً لأني جعت فلم تطعموني وعطشت فلم تسقوني، كم مرة أتيت بابكم سائلاً صدقة فرددتموني خائباً صفر اليدين، كم مرة قصدت منازلكم ورأيت موائدكم مزهرة بأصناف الخيرات، وأنتم مُعدونها للزواني والراقصات وأنا واقفاً خارجاً ولم تسمح خواطركم بان تهبوني كسرة خبز يابسة، بالرغم من أنني لا أطلب شيئاً من الذي لكم بل أطلب ما هو لي الذي أعطيتكم إياه، أما أنتم فلا تعطوني ما لي، مرات كثيرة طرقت أبوابكم والشتاء كان قاسياً علىَّ إذ كنت عرياناً وحافياً واشتملني البؤس من شدة البرد وزمهريره حتى إني عجزت عن تحريك شفتي وأنتم حين شاهدتموني بهذه الحالة السيئة رجزتموني خارجاً وطردتموني وأخذتم بقذفي وتبكيتي، ولم تعدونني ككلب مهمل، فلهذا تغربوا عني يا ملاعين

إلى الظلمة القصوى والنار الآكلة والدود الذي لا يموت وقعقعة الأسنان التي لا تهدأ كل ذلك لأنكم لم ترحموني قط، وحذرتم الراحمين بأن لا يرحموني بقولكم عني: " ابعدوا هذا إنه طفيلي وقح ". طالما تجنيتم على المساكين اليائسين بأنهم سراق ولصوص وما كنتم لهم راحمين فهكذا أجازيكم.

يا لها من عجب كونكم تعولون الكلاب وتروضون الخيول وتتسقون البساتين وتعتنون بالحمير والخنازير وترعون الأغنام والماعز أما المساكين والضعفاء الذين هم أعضائي فلن ترحموهم في وقت ما لذلك أنتم الآن لا تُرحمون، علمتم أيها الأشقياء أنكم منكوبون الحظ لأنكم لا تعرفون أن من قبل المساكين يحصل الإنسان على خلاص نفسه، ما سمعتم قط إني دعوتهم إخوتي، ولم يلفت نظركم نص الكتاب المقدس القائل: " من يرحم الفقير يقرض الرب وعن معروفه يجازيه "[1] وفي موضع آخر قال: " دينونة عديمي الرحمة تكون بلا رحمة "[2] كم من مرات كان المساكين يصرخون إليكم منتحبين ويسألونكم رحمة وهم يذرفون دموعاً، متوسلين بألفاظ وعبارات مفعمة بالمسكنة وإهانة الذات قائلين لكم: ساعدونا الله يساعدكم،

---

(1) أم ١٩: ١٧.

(2) يع ٢: ١٣.

أعطونا يا أهل الخير مما أعطاكم الله، تصدقوا علينا أيها الرحومون وارحمونا يا محبي المسيح، غيثونا يا شفوقين على جبلة الله، تحننوا علينا يا متحننين على المساكين. ويتفوهون بهذه الأقوال وما شاكلها ليستميلوا بها قلوبكم القاسية العديمة الحنو والشفقة وأنتم مع هذا كله قسيتم قلوبكم وترفعتم بحواجبكم، وما اكتفيتم بأنكم لم ترحموني وتعزوا إخوتي المساكين بل كنتم أيضاً لهم ضاربين وعن منازلكم طاردين وطردتموهم من مكان إلى مكان حتى أن أكثرهم ماتوا جوعاً وبرداً، فكم من الأيتام ظلمتموهم وكم من الأرامل اختلستم أموالهن وكم من المساكين الضعفاء أحزنتموهم، وكم من أناس أبليتموهم بالأضرار والأحزان وكم أجير تقاعدتم بأجرته لهذا السبب أنتم الآن تُعاقبون عقاباً أبدياً، لماذا ما أخذتم نموذجاً في سلوككم من الخمس عذارى الحكيمات؟! ألم تعلمون أن كل فضيلة عارية من ثوب الرحمة لا نفع لها بل هي كالطعام الذي ليس ملحاً، فإن كانت فضيلة عفة أو صوم أو صلاة أو سهر أو زهداً أو جوعاً أو عطشاً خالية من عمل الرحمة فلن تحسب شيئاً على الإطلاق، بعد ذلك ماذا أقول وفي أي وادٍ معكم أجول على هذه القساوة المفرطة، وعلى هذا الضمير الرديء الذي أنتم كنتم منطوون عليه، ألم تعلمون أن ملكوتي لا يطأه من هو عديم الرحمة والتحنن ولن يؤهل إلى منازلي

السماوية ذاك الفاقد الشفقة والحنو ولا ذاك الخبيث المجدف ... ولن يستحق مائدتي من كان فظاً بخيلاً ولن يسكن في مظالي الأبدية من كان مختلساً طماعاً ... إنما ملكوتي مفتوح للرحماء الشفوقين ... لهذا السبب أخاطبكم علانية قائلاً: " اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته لأني جعت فلم تطعموني. عطشت فلم تسقوني كنت غريباً فلم تأووني. عرياناً فلم تكسوني مريضاً ومحبوساً فلم تزورونـي "[1] فيجيبونـه: " متـى يـارب رأينـاك هكـذا ولم نخـدمك؟! فيجيبهم بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء المساكين فبي لم تفعلوا "[2].

أريد أن تنتبهوا يا إخوتي، لم يقل لهم رب المجد ابعدوا عني لأنكم زنيتم أو فسقتم أو سرقتم أو شهدتم زوراً أو نكثتم يمينكم " بالرغم أن هذه الشرور الظاهرة تحت طائلة العذاب والانتقام إلا أنها أدنى درجة من عدم الإنسانية وقلة الرحمة. لذلك إن قالوا يارب لماذا لم تذكر شيئاً آخر من خطايانا؟! فيجيبهم السيد قائلاً: إني لا أدين الخطية بل أدين الذين لم يتوبوا عنها، فلأجل قساوتكم أحكم عليكم، فكانت عندكم الرحمة دواء بها تتخلصون من عذابكم هذا لكن تركتموها وأهملتم

---

(1) مت ٢٥: ٤١ – ٤٣.

(2) مت ٢٥: ٤٤، ٤٥.

مقدار شرف هذه العطية وهذه الهبة التي للرحمة، فتوبيخي هذا لقساوتكم التي هي أصل وينبوع لكل الشرور والآثام.

رأيتم يا أحبائي كيف رب المجد يمدح المحبة البشرية لكونها ينبوع وأصل لكل الخيرات وكيف يرهب عديمي الرحمة والحنو بالنار التي لا تطفأ ويهب الرحومين محبي المساكين ملكوت السماوات والحياة فيها للأبد. فإذا أيقنتم يا إخوتي هذا فهلم بنا نرحم إخوتنا المساكين ونكون شفوقين بعضنا مع بعض، محبين للجنس البشري وودعاء ونسلك منهج الخير والصلاح ونكون طوال الأناة ونساعد بعضنا بعضاً لكي نجد رحمة عند الله، وننجو من تلك العذابات المتقدم ذكرها ونعبر هذه الحياة الحاضرة بغفران خطايانا لنفوز بالخيرات الأبدية بنعمة ربنا يسوع المسيح الذي له المجد والإكرام والعزة والسجود مع أبيه الصالح وروح قدسه المحيي المساوي الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور وإلى أبد الآبدين آمين.

# الرحمة في الخفاء [1]

**قال الإنجيل المقدس:**

" احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكي ينظروكم " [2].

**من أقوال القديس يوحنا ذهبي الفم:**

نطلب من الله أن يبعد عنا المرض الذي هو أشد الأمراض المُسمى بالمجد الباطل، فإن هذا المرض يلاصق الصوم والصلاة والرحمة، فإنه يمكث في هذه المناقب ( الأفعال الكريمة )، فنجد الفريسي تكبر قائلاً: " أصوم في الأسبوع دفعتين وأعطي أعشار جميع ما أملك " [3] وفي صلاته ليس فقط الكبرياء وإنما أيضاً الرياء فكان يصلي من أجل المراءاة والمباهاة ولما لم يكن هناك غير العشار قال: " ولا مثل هذا العشار " [4]، تأمل كيف كان كلامه وكيف كانت صلاته، كأنه وحش بري رديء، فانظروا كيف تصنعون رحمتكم بعيداً عن هذا الوحش الرديء أعني المجد الباطل. فهكذا بولس الرسول يخاطب

---

(1) من المقالة السابعة والعشرين – مخطوط ١٨٨ نسكيات بمكتبة دير السريان العامر.

(2) مت ٦: ١.

(3) لو ١٨: ١٢.

(4) لو ١٨: ١١.

الفيلبيين قائلاً: أنظروا الكلاب "[1]، حقاً المجد الباطل وحش يأتي سراً وفي خفية ويدخل في الفضائل دون إحساس به ومن غير شعور يخرج جميع ما يجده داخلاً ليفسده.

عندما أطنب وأسهب في معنى الرحمة، أتأمل في الله الشارق الشمس على الصالحين والطالحين وحثه على عمل الرحمة من كل وجه، وأن تكون الرحمة غزيرة ويجب أن نستأصل جميع ما يفسدها، لذلك هتف الرب يسوع قائلاً: " اصنعوا رحمتكم بلا رياء ولا تفعلوها قدام الناس "[2]. نعم اصنعوا رحمتكم قدام الله، فالرب يوصي بعدم صنع الرحمة قدام الناس فهو يقصد حراسة وصيانة أجرك السماوي لعمل هذه الرحمة، لذلك لا يجوز عمل الرحمة لمراءاة الناس.

يجوز لك أن تصنع الرحمة قدام الناس إذا تطلب الوضع ذلك، لا لمراءاتهم، فهنا الله يحكم على ضميرك ونيتك، وهو يعرف تماماً هل أن الوضع تطلب ذلك أم أنت بضميرك ونيتك تريد أن تُراءي الناس. ولا تبطل عمل الرحمة قائلاً: ماذا أنال إن رآني الناس وعرفوا صنيعي؟! فالإجابة واضحة ما هو قصدك؟! وما هي نيتك؟! هل قصدك ونيتك من أجل الرحمة أم من أجل المراءاة؟! فالسيد المسيح له المجد ينبه عقولنا بذكر

---

(1) في ٣: ٢.

(2) مت ٦: ١.



مكتبة
دير السيدة العذراء (السريان)

السماء حتى لا نمضي من هذا العالم بخسارة فيقول: " احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكي ينظروكم، وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السماوات "، ولم يقف عند هذا الحد بل أعطى مثالاً لمن يصنع هكذا فذكر العشارين والأمم في أعمال الرحمة محزناً بذلك لمن يروم التشبه بهم فقال: " متى صنعت صدقة فلا تبوق أمامك كما يفعل المراؤون في المجامع وفي الأزقة لكي يُمجدوا من الناس "[1]، اعلم أن أولئك ليس لهم أبواق في أيديهم وإنما السيد المسيح قال ذلك ليظهر مدى جنونهم في طلبة إظهار صدقتهم، فاستعمل كلمة البوق مهجناً فعلهم وأطلق عليهم كلمة مراؤون، فالفعل الذي قاموا به فعل رحمة أما نيتهم فكانت مفعمة بالقساوة وعدم الإنسانية فلم يصنعوا صدقتهم رحمة للقريب بل ليحظوا بالسبح والمجد الباطل وهذا السلوك أيضاً في غاية الخسارة إذ لا يحرصون على إزالة هذا المرض بل يلتمسون المزيد من التباهي والتفاخر.

حرص السيد المسيح على أن نبتعد تماماً عن هذا الداء – المجد الباطل ومحبة المديح – فأردف قائلاً: " وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك. فأبوك الذي يرى في الخفاء هو يجازيك

---

([1]) مت ٦: ٢.

علانية "[1]، فإن كان من الممكن أن تخفي صدقتك عن هذه الأيدي الخادمة فبالأولى تستطيع أن تخفي صدقتك عن الناس، ومهما كان الناس يجهلونك فثق ما يفعله الإنسان صغيراً أم كبيراً فهو غير مخفي عن الآب السماوي، والآب السماوي الناظر ما هو في الخفاء يجازيك علانية.

**من أقوال القديس مقاريوس:**

لام السيد المسيح الذين يعملون صدقتهم مراءاة للناس لذلك أوصى أن لا نعمل الرحمة أمام الناس وإلا فليس لنا أجر عند أبينا السمائي، فيا أولادي لا يكن قصدكم طلب المجد والسبح الباطل من البشر بل ليكن قصدكم طلبة ذلك من الله وحده الذي مجده دائم باق خالد دهري، وتذكر قول الرب: " الويل لكم مت قال فيكم جميع الناس حسناً "[2]، ويعني بذلك متى شئتم وأردتم أن تسمعوا من الناس سماعاً حسناً وتفرحون بمدحهم إياكم. وربما يسأل أحدكم كيف يوصي الرب أن نخفي ما نفعله من الخير، وهو نفسه القائل: " ليشرق نوركم أمام الناس لكي ينظروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في

---

(1) مت ٦: ٣.

(2) لو ٦: ٢٦.

السماوات "[1]، فأقول وأجيب لكم نعم إذا صنعتم عملاً حسناً فاقصدوا به تمجيد الله لا تمجيدكم، فلا يكن قصدكم هو الفرح بمديح الناس في هذا الزمان الزائل وإنما أطلبوا المجد والمديح من الله الواحد وافعلوا كل ما هو حسن لمجد الله وتقديس اسمه فإن الرسول بولس يقول: " فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً فافعلوا كل شيء لمجد الله "[2].

**من نسكيات القديس باسيليوس:**

كيف يكون ما يفعله الإنسان لمجد الله؟! من يريد أن يفعل كل شيء لمجد الله فعليه أن يفعل كل شيء حسب وصية الله ولا ينتظر في أي شيء من أعماله مديحاً من الناس بل يتذكر في كل عمل يعمله قول الرب: " هكذا فليشرق نوركم قدام الناس لكي يروا أعمالكم الجيدة ويمجدوا أباكم الذي في السماوات "[3].

---

(1) مت ٥: ١٦.

(2) ١كو ١٠: ٣١.

(3) مت ٥: ١٦.

## من أقوال القديس أثناسيوس بطريرك الإسكندرية:

سُئِلَ البابا أثناسيوس: إن طلب إنسان محتاج صدقة في الطريق وكان أمام جمع كثير وينظرون، فماذا يجب أن نفعل إن كانت الصدقة يجب أن تكون سراً في الخفاء؟

أجاب البابا أثناسيوس قائلاً: الله فاحص فكر الإنسان، فإن أعطيتم صدقة قدام ربوات من الناس وكان قصدكم هو إرضاء الله لا إرضاء الناس وطلب المديح فما عليكم دينونة، فالابن الوحيد الجنس يشير علينا أن لا نعمل الصدقة قدام الناس ليس من أجل أن لا نفعلها ولا نرحم المساكين وإنما من أجل لا نطلب مديح الناس ومجدهم مثلما كان يفعل الكتبة والفريسيون محبي السبح الباطل والمجد الفارغ فليس من أجل الجسديات والأمور الزائلة نفقد الروحيات والأبديات لذلك قال لا تعلم يسارك ما تفعله يمينك، فاليد الشمال تشير إلى مشيئات الجسد واليد اليمنى تشير إلى مشيئات الروح، فالرب يريد أن لا تعرف مشيئات الجسد بنية مشيئات الروح ولا تعلم الأفكار البشرية اللحمية ما يعمله الروح القدس.

## من أقوال الآباء الشيوخ:

سأل أخ الأب بيمن قائلاً: " إذا أعطيت خبزاً يسيراً أو غيره لأحد محتاج فقد يدنس الأبالسة هذا الفعل كأنه قد صار لإرضاء الناس فماذا أفعل؟!

فأجاب الشيخ قائلاً: العطاء لأخ محتاج وإن صار لإرضاء الناس فيجب علينا أن نقيم للأخ حاجته، وأضرب لكم مثالاً: كان رجلان فلاحان ساكنان في بلدة ما، فأحدهما زرع وحصد غلة قليلة وغير نقية والآخر توانى فلم يزرع شيئاً لذلك لم يحصد شيئاً البتة فإن حدثت مجاعة مَنْ منهما يجد ما يقتات به ويحيا؟

فأجاب الأخ: ذاك الذي حصد يستغل غلته القليلة والغير نقية.

فقال الشيخ: يجب علينا أن نزرع قليلاً قليلاً لئلا نموت بالجوع.

## قالت الأم سارة:

إنه عمل مقبول أن يصنع الإنسان صدقة، حتى إن كانت لمراضاة الناس إلا إنها تنتقل بعد ذلك إلى مرضاة الله.

## قال أحد الشيوخ:

يا بني امقت السبح الباطل الذي يشتهيه العالم فأولئك الذين يمدحهم الناس عندما يروون أتعابهم فلا ينالون جزاء إن كان قصدهم مديح الناس لهم. فأجاب شيخ آخر أكثر حكمة قائلاً: أنت الآن تمقت

المجد الباطل لكن الأوفق للشاب أن لا يطرح عمل الخير حتى لو قبل مجد باطل وذلك لكي يتعلم صنع الخير ثم بعد ذلك ينتقل إلى ضبط الهوى وإلى السهر ويقتني المحبة ويحتمل الأحزان ويبغض المديح، كما نجد أن في أعمال الرحمة التي يقوم بها، رحمة الله تخاطبه قائلة: لماذا لا تعمل هذه الرحمة من أجلي لا من أجل الناس" فحينئذ يقتنع داخلياً أن لا يصغى إلى مجد بشري بل إلى مجد الله. فجميع الذين سمعوا هذا القول قالوا نعم الأمر هكذا يا أبانا.

**من نسكيات القديس باسيليوس:**

لا يليق أن نمنع أحداً من أن يعمل بوصية من وصايا الله حتى وإن كان عزمه سقيماً غير صحيح، ما دام في الظاهر حافظاً تعليم الرب، وفي فعله هذا لا يوجد ضرر لأحد، فربما ينتفع بعمله هذا قوماً ما، بل يجب علينا أن نعظ ونخاطب ونقنع الشخص بان تكون نيته موافقة لما يفعله من الفضيلة: "فمتى صنعت فلا تبوق قدامك بالبوق كما يفعل المراؤون في الشوارع والاجتماعات لكيما يُمجدوا من الناس، الحق أقول لكم أنهم قد استوفوا أجرهم. وأما أنت فمتى صنعت رحمة فلا تُعرف يسارك ما تفعله يمينك كيما تكون رحمتك في الخفاء فأبوك الذي يرى في الخفاء هو يجازيك علانية"[1].

---

([1]) مت ٦: ٢ – ٤.

# الضيافة كعمل الرحمة كيف تكون؟ [1]

## من أقوال القديس إشعياء

يجب أن تتغذى بمأكولات قليلة بسيطة لا كثيرة ثمينة، وإن حاربك فكرك في معنى الضيافة والإكثار من أنواع الأطعمة مما يؤدي إلى اضطرابك من أجلها فلا تطعه، لأن العدو يكمن لك في هذه الفنون ليبعدك عن السكون وتجد الرب لائماً لك مثلما زجر مرثا قائلاً لها: " مرثا مرثا ما لك تهتمين بكثير وتضطربين والحاجة إنما هي ماسة إلى شيء واحد " [2]. تشبه بتلك الأرملة التي أضافت إيليا النبي بضيافة بسيطة، أليس أضافته بخبز وحده فقط؟! فلا تشته اقتناء الغنى لأجل الرحمة على البائسين والاحتجاج على ذلك هو من خداع الشرير ليوقع بك في المجد الباطل والفضول والتفتيش، لقد سمعت بحال الأرملة التي ألقت في صندوق العطاء فلسين وغلبت بها عطايا الأغنياء.

**سؤال**: قل لي يا أبي أي صفة تكون هي صفة الطعام؟!

---

(1) من المقالة العشرين والحادية والعشرين – مخطوط ١٨٨ نسكيات بمكتبة دير السريان العامر.

(2) لو ١٠: ٤١، ٤٢.

**الجواب**: لقد منع الله المسيحيين في كل أمر من أمورهم من محبة المجد الفارغ ومن محبة إرضاء الناس، كما أوجب الله عليهم أن لا يعملون شيئاً للمباهاة والمراءاة لأهن قد أضاع أجره الذي يفعل شيئاً لمراءاة الناس، فالذين يقبلون وصية الرب ويتمسكون بها لأجله يجب عليهم الهروب من جميع أنواع المجد الباطل، وإذا كنا نرى أهل هذا العالم جميعاً بأكملهم ليس فقط يخجلون من الفقر والمسكنة، بل أيضاً يفتخرون بسائر أنواع المأكولات متى أقاموا ضيافة فأخشى جداً من أن يدخل هذا المرض خفية لنا من حيث لا نشعر، ومتى خجلنا من الفقر والمسكنة التي تقودنا إلى المسكنة الروحية نوبخ من المسكنة التي طوبها الرب: " طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السماوات "[1]. لذلك لا يليق بنا استخدام الفراش والبساط الثمين الفاخر ولا استعمال الأدوات الكريمة – الذهبية أو الفضية، كذلك أيضاً لا يحسن لنا الإكثار من الأطعمة، ولا الاهتمام بمأكولات غريبة خارجة عن مأكولاتنا.

فإن سعينا كثيراً وطلبنا ما ليس بضروري من الأطعمة والحاجات بقصد المباهاة والمراءاة وتلذذ الفم وتمتع الجوف، فهذا ليس فقط أنه قبيح، وغير مناسب لسيرتنا وهدفنا، بل أيضاً يسبب لنا أضراراً كثيرة.

---

(1) مت ٥: ٣.

ومتى رأونا أولئك المنعكفون على مثل هذه الأشياء إننا منكبون عليها مثلهم فأذيناهم وأذينا نفوسنا معهم، فإن كان التنعم والترفه أمراً رديئاً يجب أن نهرب منه فما هي الفضيلة والمنفعة التي لنا عندما نسعى ورائهما؟! اعلم أن لا شيء من الأشياء المذمومة يمكن أن يصير في وقت من الأوقات ملائماً ونافعاً، فالمهتمون والمنعكفون على استعمال أفخر الأطياب وأثمنها وأجود الأشربة وأفضلها، فإنهم يُلامون من الكتاب المقدس الذي قال: " الأرملة المتنعمة ماتت وهي حية " [1] ويتعظون من مَثَل الغني الذي فقد الفردوس من أجل التمتع هنا وسمع الصوت القائل: " لقد استوفيت خيراتك على الأرض " [2] إذاً فمالنا من الاهتمام والإكثار من هذه الأشياء والتوسع فيها.

إن طرق بابك أحد الغرباء وكان هدفه في الحياة هو هدفك، فإنه سيعرف ما هي مائدته الخاصة، لأنه سيجد عندك ما تركه هو في بيته، ولأن قد أوعكه السفر وأضناه فقدم له ما يزيل تعبه، وإن جاء إليك آخر من أصحاب العيش البراني، فليتعلم من أفعالك ما لم يتعلمه من الأقوال، وليأخذ من عندك نموذجاً ورسماً للقناعة في المأكل والمشرب، وليبق عنده تذكاراً لمائدة المسيحيين ونموذجاً للمسكنة التي

---

(1) ١تي ٥: ٦.

(2) لو ١٦: ٢٥.

أوصى بها السيد المسيح ولم يستنكف منها. وإن لم يصغ إلى ما يراه وما تقوله بل يهزأ ويضحك فالأفضل له أن لا يطرقك ثانية.

نحن متى رأينا قوماً من الأغنياء الذين يتصفون بالتمتع في الملذات فلنتنهد عليهم تنهداً عظيماً. لأنهم قد أفنوا عمرهم كله بأباطيل الأشياء العالمية الفانية الزائلة المضمحلة، وألَّهوا اللذات في حياتهم وعبدوها ولم يلتفتوا إلى الخيرات السمائية لإنعكافهم على اللذات الأرضية، فهم في طريقهم ذاهبين إلى نار معدة لا نهاية لها. فمتى تلاقينا معهم في أي وقت من الأوقات لا نتكاسل عن أن نخاطبهم وننبههم لخلاص حياتهم من الهلاك. أما إذا طلبنا اللذة وتصنعنا ذلك مراءاة لهم، فلا نحسب كأننا نعمر أو ننشئ بل أننا نهدم وننقض ما قد تعلمناه وفي نفس الوقت نبني ما قد هدمناه ونقضناه قديماً من حياتنا، وندين أنفسنا بما قد أدَّنا به غيرنا، وعندما نتضع باللذة في عيشتنا فإننا نتغير عن حياتنا ولو قليلاً ثم نتغير بعد تغير حتى تصبح هذه الحياة هي عادتنا!!

فحياة الإنسان المسيحي هي فن واحد وقصده وهدفه شيء واحد هو مجد الله – تبارك اسمه. فمعلمنا بولس الرسول الناطق بروح الله قال: " فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً فافعلوا كل شيء لمجد الله "[1]. أما أصحاب العيش البراني، أعني عيش أهل العالم، فهو عيش

---

(1) ١كو ١٠: ٣١.


مكتبة
دير السيدة العذراء (السريان)

متلون ذو فنون كثيرة مختلفة، فكل واحد من أهل العالم كما يشاء وكما يختار، أما نحن لا نجهل المائدة التي صنعها السيد المسيح لسد جوع الخمسة آلاف ولا ننسى ما قاله لمرثا الحاجة إلى شيء واحد لسد الجوع، ونتذكر ما قاله قديماً أبينا يعقوب وتمناه من الله قائلاً: " إن أعطيتني خبزاً لآكل وثوباً لألبس "[1] ولم يقل إن أعطيتني ثروة ورفاهية ومتعة، وماذا يقول سليمان الفائق في الحكمة: يارب لا تعطني غنى ولا فقر بل ارزقني الكفاف الذي يسد عوزي، لأني إذا امتلأتُ أصير كاذباً وأقول من هو الرب؟ وإذا افتقرت أسرق وأحل باسم إلهي باطلاً "[2]. فليطلب كل واحد فينا الكفاف بحسب حاجة جسمه وحاجته إلى ما هو مطلوب منه، فواحد يحتاج إلى غذاء لطيف خفيف، المريض يحتاج إلى غذاء وعناية أكثر من الإنسان السليم، على أية حال يجب علينا عموماً أن لا نهتم إلا بغذاء يسير الثمن، سهل الوجود، وفي طاقة كل أحد ولا يتجاوز مقدار حاجتنا إليه، وهذه هي غاية الضيافة وما يتطلبه الضيف من سد حاجته وما يشبع أعوازه. نعيش في العالم ولا نسرف في استعماله فلا نستخدم ما ليس لنا حاجة به، فلنتناول قوتنا يوم بيوم من أيدينا ومن تعبها، فلماذا نضيع الغذاء المعطى لنا من الله ونصرفه في ملاذ الدنيا

---

(1) تك ٢٨: ٢٠.

(2) أم ٣٠: ٨، ٩.

الباطلة وفي مجاملة ذوي المتعة فنخطئ بالوجهين إذ نضيق على أنفسنا ولا نعطي المساكين، ونسبب لأولئك الأضرار الحادثة من الامتلاء والشبع.

**ومن أقوال القديس الكبير برصنوفيوس:**

سأل يوحنا تلميذ القديس برصنوفيوس الكبير: "ماذا أعمل في ضيافتي للآباء، فقد يأتي أحدهم ولم أجد في ذلك الوقت ما أقدمه من واجب الضيافة والكرم والفخر بذلك؟!

فأجابه القديس: هذا الفكر فكر شيطاني لأن يكفيه ما يسهل وجوده عندك كما قيل: "كونوا مكتفين بما عندكم"[1] وإن طلب راهب مثل هذه الأشياء فلا يمكن أن يضيف أحداً من الآباء وإذا ارتبك وانشغل بضيافة أحد فالأفضل أن يطلب من الله أن لا يأتيه أحداً.

واعلم يا بني إن اتفق أن تمضي أنت في وقت من الأوقات إلى قوم، فلا ترجو ولا تتوقع إنك تجد راحة، حتى إذا مضيت ولم تجد هناك راحة فلا تتزعج ولا تقلق لأن سبق وتوقعت ذلك، لأن التكلم في المضيف موت للنفس فيجب أن نشكر في جميع الأشياء فإن هذا هو الغذاء الروحاني.

**سؤال**: إذا قمت بزيارة لأحد ولم يقبلني ولم يضيفني البتة، وكنت أنا متعباً جداً من شقاء الطريق وأحتاج إلى طعام فماذا أفعل؟!

---

(1) عب ١٣: ٥.

**الجواب**: ففي هذه الحالة تذكر من هو الذي يهتم بالكل، ومن هو الذي يغذي كافة الجميع، فإن أراد الله أن يُعتنيَّ بك فهو يحقق ذلك في نفوسهم وإن لم يقبلونك ولم يضيفونك فقل إن الله هو الذي يشاء ذلك، فاعلم أن حدوث مثل هذه الأمور هو امتحان للإنسان والهدف منها هو أن يتعلم الإنسان الصبر ويعود بالملامة على نفسه ويعلم أنه غير مستحق.

# الرحمة من مال ظلم [1]

**قال الإنجيل المقدس:**

" اصنعوا لكم أصدقاء من مال الظلم لكي يقبلونكم في محالهم الأبدية متى فُنيتم " [2].

**من أقوال القديس باسيليوس الكبير:**

الذي يأخذ من واحد ويعطي آخر فليس صنع رحمة على الإطلاق، لأنك إن كنت تريد أن ترحم شخصاً فلا تظلم آخر، فكان يجب أن ترحم الذين ظلمتهم بعدم ظلمك لهم، فالإنسان الرحوم لا يظلم أحداً.

وقال أيضاً: الإحسانات التي تصير من ظلم ومن طريق محروم فهي غير مقبولة عند الله. الذي يقدم رحمة من ظلم، رحمته مرذولة أمام الله. إن كنت تريد أن تقدم من ظلم واختطاف فالأفضل لك أن لا تقتني مثل هذه القنية من البداية ... فلا يُؤخذ من اللعنة بركة، ولا من الدموع إحسان.

**من كلام ذهبي الفم:**

الرحمة التي تصير من ظلم فهي ليست رحمة بل قساوة وجسارة

---

(1) من المقالة الثانية والعشرين – مخطوط ١٨٨ نسكيات بمكتبة دير السريان العامر.

(2) لو ١٦: ٩.

وعدم إنسانية، فما هي الفائدة أن تعري إنسان وتكسو آخر، لا نظن إن خطفنا شيئاً وأعطيناه لآخر إننا بذلك نستعطف الله، العكس تماماً إننا نحزنه ونغضبه بهذا الفعل الذي فعلناه. فقل لي لا ترى أن الكل يهزئون بك ويلمونك عندما تأخذ حيواناً ميتاً لتقدمه ذبيحة؟! فماذا إذاً يكون إن أفصحت واعترفت أن عطاياك هذه التي قدمتها هي من الخطف والاستغنام. فليس لك أي عفو حتى إذا صنعت آنية الهيكل من الظلم والاختطاف، فهي بالأحرى لك رائحة نتنة وكريهة أكثر من جيفة الحمار الميت، ويا له من حزن عميق إنك تطلب من الله أن يتناسى لك جميع سيئاتك التي صنعتها بتقديمك هذه الآنية لهيكل الرب، لكن اعلم جيداً أن لخطاياك ذكر مؤبد لأن ليس مقدار إثم يبلغ إلى هذا الحد ولا يوجد أشر من السلب والنهب والاختطاف والظلم لتقدم منه للرب الإله.

هل تعلم إن دخل شيء يسير من مال ظلماً فإنه ينجس ويدنس الكل تماماً مثل الذي يلقي زبلاً ولو قليلاً في إناء به ماء صافي، فالماء كله يصير قذراً غير نظيف، هكذا تماماً الاستغنام متى دخل في جملة المال، فإن الرائحة الكريهة تفوح من جميع ذلك المال، فالرحمة التي تكون من هذه الجهة تركها أصلح، لقد كان أفضل لقايين أن لا يقدم قربان أبداً من أن يقدم قربان من الدون وبه جلب غضب الله، فكم وكم

يُغضب الله الذي يقدم قربان من ما ليس له. فأنت يا من تريد أن تكرم الله بما تستغنمه وتخطفه فاعلم جيداً أيها الأثيم إنك ستسمع منه الصوت القائل: " سأوبخك وأقيم خطاياك قدام وجهك " [1].

**وأيضاً من أقوال ذهبي الفم:**

إذ كان الذين لم يصنعوا رحمة سيُعاقبون فبالأولى جداً يحل العقاب بالخاطفون مال غيرهم، فلا تقل في نفسك نعم إني ظلمت واحد لكن في نفس الوقت رحمت آخر، فالأمر الرديء هذا هو ما صنعته، لأنه كان يجب أن الذي ظلمته هو هو نفسه الذي ترحمه، بهذا الأمر الذي صنعته إنك تجرح واحد وتقدم الشفاء لآخر، فالأولى والأفضل أن تشفي الجريح منك والأجدر والأليق والصواب كان ألا تجرح أحداً لأن الإنسان المحب للآخرين والعطوف عليهم ليس هو الجارح والشافي لهم بل هو الذي يداوي المجروحين من غيرهم، وأريد أيضاً أن تعلم إذا ظلمت أحداً بفلس فلا تظن إنك تصنع رحمة بفلس لكي يُمحى به قبيح صنعك بل يجب أن تتوب وتُعطى عوض الفلس الذي أخذته ظلماً قنطاراً [2] تفرقه في أعمال الرحمة، تذكر توبة زكا، فعندما رجع وتاب عن ظلمه قال: إنني سأعطي عوضاً مما اغتنمت أربعة أضعاف وأعطي ما أملكه

---

(1) مز ٥٠: ٢١.

(2) مال كثير.



مكتبة
دير السيدة العذراء (السريان)

للمساكين "[1] فإن كان في الناموس العتيق يرد المستقيم أربعة أضعاف[2] فبالأولى يُرد كثيراً في عهد النعمة والهبة السماوية. فلابد أن تدرك بشاعة هذا الأمر، فأي عذر تقدمه وأي رجاء ترجوه من فعل هذا الأمر القبيح واسمع لقول الكتاب في هذا الأمر: "من قدم ذبيحة من مال المساكين فهو كمن يذبح الابن أمام أبيه "[3].

## وأيضاً من أقوال ذهبي الفم في تفسيره الرسالة إلى أهل كورنثوس:

الشره خمير عتيق هو، فحيث دخل في أي موضع ينجسه، فإذ أنت ربحت ربحاً يسيراً من الظلم فهذا يُخمر جميع ما تقتنيه فيصبح ظلماً وشراً بين يديك، فمراراً كثيرة القليل الذي يدخل بصفة رديئة، يُخرج الكثير المذخور بصفة جيدة. فإن اعترض معترضاً وسأل قائلاً: لماذا كثيرون يَظلمون ولا يصيبهم شيئاً ممن تقول؟! فأجيبه قائلاً: ما أقوله سيصيبهم وإن كان لا يصيبهم في الزمن الذي صنعوا فيه الظلم فسيصيبهم في زمن لاحق، وإن كان لا يصيبهم شيئاً في هذه الدنيا بالجملة، فحينئذ يجب أن يزداد خوفك فإنهم مذخرون لعقاب أكثر في ذلك العالم الآخر، ومن يرث ظلمهم سيصيبه ما كان سيصيب أصحاب

---

([1]) لو ١٩: ٨.

([2]) خر١: ٢٢، ٢صم ١٢: ٦.

([3]) سي ٣٤: ٢٤.

ذلك الظلم في الدنيا. وربما تقول وأين العدل في هذا؟! فأجيبك نعم هذا عدل وواجب وإنصاف سديد لأن الوارث حاله مملوء جوراً وظلماً فإنه يحتشد مال جور وظلم، فالاستغنام والظلم ما زال عنده مقيم، فإن كانت نواميس غير المؤمنين تشهد وتأمر أن تؤخذ الأشياء المسروقة والتي قد أُخذت على غير صفة واجبة تنتزع ممن توجد عنده ولا يُحفل بطلبته أو احتجاجه. فأنت إن ورثت مال ظلماً وتعرف ممن أُخِذَ هذا المال ظلماً فرده إلى صاحبه بزيادة متشبهاً بزكا، وإن كنت لا تعرف أصحابه فوزعه على المساكين وذوي الأسقام وبذلك يمكنك أن تتلافى ذلك الأمر الرديء الذي عندك.

## من كلام القديس أثناسيوس بطريرك الإسكندرية:

سُئِلَ البابا أثناسيوس إن كان مؤمن مؤتمن – على أمانة – من قِبَلْ أناس خارجين عن الإيمان ومس الأمانة وأخذ منها شيئاً فهل هذا خطأ؟!

فأجابه القديس: لقد قال الرب: " أعطوا ما لقيصر لقيصر "[1] ومن الواضح بعيداً وخارجاً عن الإيمان فيتحقق من ذلك أن من مس شيئاً من مال قيصر، ليس فعله هذا مقبول أمام الله.

## ومن أقوال القديس مار إسحاق السرياني:

إن شئت أن تزرع رحمة في أرض المساكين فازرع من خاصتك، وإن

---

(1) لو ٢٠: ٢٥.

زرعت من مما ليس لك فاعلم أنه زرع رديء، إعطاء المساكين وعدم الظلم وعدم الكذب يأمر به الناموس العتيق أما كمال الإنجيل يقول من سألك فأعطه ومن أخذ مالك فلا تطالبه، وقال أيضاً بع كل مالك وأعط المساكين، وليس هذا فقط بل أيضاً أن تبذل نفسك عن أخيك، فهذه هي صفات القلب الرحيم حقاً.

## من أقوال القديس أنسطاسيوس السيناني:

سُئِلَ القديس أنسطاسيوس: ما هو المقصود بمال الظلم في الإنجيل المقدس؟

فأجاب القديس قائلاً: ليس حسب ما يظن قوم أن المال الذي جُمع من ظلم واستغنام هو هذا المال الذي عنه قال الرب أن نصنع منه أصدقاء من المساكين، بل يقصد ذاك المال الذي هو زائد عن حاجتنا، فالذي يُمكنه أن يخلص هالك من جوع أو أسير من أسره ولا يساعده ويعينه فبالحقيقة هو كقاتل وظالم ويدان على تقصيره، ومصداق قولنا أنه في موضع آخر يزجر القساة العديمي الرحمة فيقول: " إن كنتم في مال الظلم ما نصحتم ولا أثبتم ثقة فمن يأتمنكم على المال الحقيقي، وإن كنتم ما صرتم في المال الغريب ذو ثقة فمن يخولكم ما لكم "[1]. ويعني هنا بالمال الغريب كثرة القنية لأننا ما ولدنا ومعنا ثروة بل عراة

---

([1]) لو ١٦: ١١، ١٢.

ولدنا كما هو مكتوب: " إننا لم ندخل العالم بشيء ولا يمكننا أن نخرج ومعنا منه شيئاً "[1]، فالغني – كثرة المقتنيات – بالطبع أمر غريب عنا، فإن كنتم في المال الغريب أي الزائد عن الحاجة، في المال الذي لا تستعملونه غير أمناء فكيف يأتمنكم الله أن تأخذون المال الحقيقي الذي هو لكم ويعني بهذا المنحة الإلهية والخير المعطى من الله.

لقد قال الرب: " أنظروا وتحفظوا من الشره والاستغنام "[2] وقال أيضاً: " إن لم يزد بركم أكثر من الكتبة والفريسيين فلا تدخلوا ملكوت السماوات "[3]. وقال أيضاً على لسان النبي: " أنا هو محب العدل والإنصاف وباغض الظلم والاختطاف "[4]. فالذي قال هذه الوصايا جميعاً بالطبع لا يعلمنا أن نصنع رحمة بمال الظلم والشره والاستغنام والاختطاف، فالصالح لا يُعلم رذيلة ولا شيء رديء، ولا المحسن والمنعم يُسر بالاستغنام والاختطاف، ولا العادل المنصف يأمر بالظلم والجور، فإذا كان الأمر هكذا ومستحيل أن الله يريد رحمة من ظلم واستغنام فإذاً كلامه عن مال الظلم لا يقصد سوى المال

---

([1]) ٢تي ٦: ٧.

([2]) لو ١٢: ١٥.

([3]) مت ٥: ٢٠.

([4]) إش ٦١: ٨.

الفائض والزائد عن حاجتنا مما ملكنا من ثروة، ويشهد بذلك أيضاً القديس يعقوب الرسول قائلاً: "هلم الآن أيها الأغنياء ابكوا مولولين على الشقاء الحال بكم، غناكم قد فسد وتهرأ وثيابكم قد أكلها السوس والدود، ذهبكم وفضتكم قد صدئا وصدأهما يكون شهادة عليكم، ويأكل أجسادكم في آخر الأيام لأنكم خزنتم وادخرتم ناراً "[1]، كل هذا يشهد أن مال الظلم هو الغنى الزائد وغير مقصود به الظلم والاستغنام. والرسول بولس يقول أيضاً: "أي شركة بين العدل وتجاوز الناموس وأي اتفاق بين المسيح الذي ينبغي له السجود وبين إبليس خزاه الله "[2] ويقول أيضاً: "أميتوا أعضاءكم التي على الأرض الزنا النجاسة الألم الشهوة الرديئة الاستغنام والشره الذي هو عبادة الأوثان ومن أجل هذه الأشياء يأتي رجز الله على أولاد المعصية "[3] وفي موضع آخر يقول: "اعلموا هذا أن كل زان أو نجس أو شره الذي هو بمنزلة عابد صنم ماله ميراث في ملك المسيح الإله "[4] وأيضاً يقول: "أصل كل الشرور هو محبة الفضة "[5]، الرب يعرف خاصته ومن هو له وكل من

---

(1) يع ٥: ١ – ٣.

(2) ٢كو ٦: ١٤، ١٥.

(3) كو ٣: ٥، ٦.

(4) أف ٥: ٥.

(5) ١تي ٦: ١٠.

دُعيَّ اسمه عليه وكل من يُسمَى باسم الرب فليبعد عن الظلم والجور " أم لستم تعلمون أن الظالمين لا يرثون ملكوت الله. لا تضلوا لا زناة .. ولا طماعون .. ولا خاطفون يرثون ملكوت الله "[1].

## ومن تعاليم آباء البيعة أيضاً[2]:

أما من جهة مال الصدقة فينقسم إلى قسمين إما مال حلال ( من بر وطرق مستقيمة ) إما مال مشوب بغيره ( مال من شره النفس وأعمال الحيل والإثم )، فإذا كان المال المتصدق به مالاً حلالاً فمغبوط ذلك الإنسان الذي يصنع صدقة كما قال الكتاب: " بدد أمواله وأعطى المساكين وبره دائم إلى الأبد "[3] أما الصدقة التي هي من مال ظلم فلا يجب أن نعتقد أن صاحبها صنع صدقة بل صنع إثم زيادة فوق الإثم الذي جمع به هذا المال، فالأولى محصل هذا المال أن يجتهد في أن لا يحمل مالاً بطرق خاطئة وإن وقع في إثم تحصيله فالأولى يرده لصاحبه كما ذكر الكتاب: " من اغتصب إنساناً فليرد ما اغتصبه بزيادة ويقدم قرباناً لله "[4].

---

(1) اكو ٦: ٩، ١٠.

(2) مخطوط ١٨٧ نسكيات بمكتبة دير السريان العامر.

(3) مز ١١٢: ٩.

(4) لا ٦: ٤، ٥.

# القرابين والصدقة النقية [1]

علَّم الآباء الرسل في كتاب الدسقولية عن القرابين والصدقة النقية، فمنعوا من قبول القرابين والصدقة من الكفرة والمجدفين والقاتلين والزناة والفاسقين والسراق والسكيرين ومن يضيق على الأرامل والأيتام ومن الظالمين ومن الأجناد الذين يقلقون الفقراء ومن الذي يعتقل الناس ظلماً والذين يسيئون ويَسبون عبيدهم ومن الذين يغشون بالموازين ومن التجار أصحاب الحانات ( أماكن بيع الخمور ) وسائر مخالفي الناموس، فإن الرب يرذل ضحايا المنافقين، وقد سر الله بقربان هابيل وقبله لكونه قدم من أبكار غنمه وسمانها كما كتب في سفر التوراة المقدسة [2] ولم يقبل قربان قايين لأنه من الدون، وسر الرب بفلسي الأرملة التي من فاقتها قدمت والسيد المسيح أيضاً يسر بقربان من لا لوم عليه لذلك قال في الإنجيل المقدس: " إن قدمت قربانك على المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك فدع قربانك هناك قدام المذبح وانزل أولاً واصطلح مع أخيك وحينئذ تعال وقدم قربانك " فلنقدم قرابين وعطايا نقية لنستحق أن نتناول جسد ودم ربنا يسوع المسيح الذي له المجد الدائم إلى الأبد آمين.

---

(1) من مخطوط ١٤٥ لاهوت بمكتبة دير السريان العامر.

(2) تك ٤ : ٤.

# الراهب والصدقة [1]

**من أقوال القديس برصنوفيوس:**

سأل أخ ( راهب ) القديس برصنوفيوس قائلاً: لقد قرأت ووجدت في أقاويل القديس باسيليوس النسكية أن كل ما كان لإنسان زائد عن الحاجة الضرورية في الحياة، يجب عليه أن يجود به ويبذله حسب وصية الرب، فكيف يمكنني حفظ هذه الوصية؟

أجاب القديس برصنوفيوس قائلاً: هذا الكلام يلزم الذين يعيشون عيشة منفردة وهم قادرون على تدبير أمورهم بإفراز وتمييز، أما الراهب الذي في كنونيون ( مجمع الدير ) فهو فرد وسط آباء كثيرين، وليس له سلطة خاصة يفعل بها ما يشاء بمفرد مشيئته لأن إن لم يقطع الإنسان هواه الجسدي فإنه يقع في مرض إرضاء الناس، فإن طلب منك إنسان شيئاً وتألمت من أجله فأعطه سراً حسب حاجته وبمقتضى الأمر إن كان لك كثير فأعط كثيراً وإن كان لك قليلاً فأعط حاجته بإفراز.

---

([1]) من المقالة العشرين – مخطوط ١٨٨ نسكيات بمكتبة دير السريان العامر.

**ومن أقوال إشعياء البار:**

لا يجوز للراهب أن يهب لإنسان شيئاً البتة من الأشياء الزائدة عنه ويكون لذلك الإنسان له ما يأكله ويشربه ويلبسه، بل يجب عليه أن يعطي العرج والعمي قوت اليوم، وقال أيضاً إن لم يكن لك غير حاجتك فقط فلا تفرط ولا تبددها وتوجد قلقاً منزعجاً، فالأوفق لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يذهب جميع جسدك كله إلى جهنم.

**ومن أقوال القديس برصنوفيوس:**

سأل الأب يوحنا – تلميذ القديس برصنوفيوس – قائلاً: يا أبي إن سألني إنسان ولا يكن لي شيئاً لأعطه هل يجب علىَّ أن أقترض وأعطي؟!

فأجابه القديس قائلاً: إن طُلب من إنسان أن يعطي شيئاً ما وليس له فما يلزمه أن يقترض ويعطي، فإن الرسول بطرس لما طلب منه أن يعطي صدقة قال أنه لم طلب منه أن يعطي صدقة قال أنه لم يملك ذهب ولا فضة، ولم يقترض ليعطي، وإن كان لإنسان حاجته فقط، فما يلزمه أن يعطي ويعوز بعد ذلك فيحزن ولا يستطيع أن يصبر على حاجته وعوزه، فإن انزعج بسبب السائل، فيقل له ليس لي ما أعطيك ففي قوله هذا ليس كذباً لأن من ليس له غير قوته فليس له ما يعطيه لغيره، أذكر مثل الخمس عذارى الحكيمات لما طلبن منهم رفقائهن

أن يسعفهن بزيت لمصابيحهن أجابهن " ربما لا يكفينا وإياكن "[1]، والرسول بولس يقول في رسالته إلى أهل كورنثوس " لتصر فضلتكم أنتم سداداً لعوز أولئك "[2].

**ومن أجل الراهب الذي يقتني لإعطاء صدقة قال القديس مار إسحاق السرياني:**

أنت قد وضعت في نفسك المسكنة فلينعم عليك الله ويعتقك من الهموم وتصير بمسكنتك هذه فوق قمة العالم، فإياك أن تحب القنية من أجل محبة المساكين، فاحذر أن تكون صدقتك من هذا الوجه وتلقي نفسك في متاهة فتأخذ من واحد وتعطي آخر، وتبيد كرامتك بخضوع الطلب من الناس، فتخيب من حسنك وتعدم حرية فكرك باهتمامك بالأمور العالمية، فاعلم أن منزلتك أعلى من منزلة الراحمين، فأسألك أن لا تخضع لهذا، فإن عمل الرحمة للراهب يشبه تربية طفل، أما السكوت فهو غاية الكمال، فإن كان لك مقتنيات ففرقها في دفعة واحدة وإن لم يكن لك فلا تؤثر أن يكون لك شيئاً، وأزل من قلايتك ما فيها من فائض، فإن هذا يقودك إلى النسك حتى إن لم تشأ، واعلم أن الإعواز يعلم الإنسان إمساك ذاته، أما إذا امتلكنا الأشياء وانفسحنا فيها فلا نقدر على إمساك ذواتنا.

---

(1) مت ٢٥: ٩.

(2) ٢كو ٨: ١٤.



مكتبة
دير السيدة العذراء (السريان)

## من أقوال الآباء الشيوخ:

سأل أخ شيخاً قائلاً: وضح لي أيها الأب إن لم يكن لإنسان ما يفضل عن قوته وحاجته فماذا يبذل؟! وإن أعطى ثم حزن على خير قد عمله باختياره فما يجوز؟!

أجاب الشيخ: يجب أن تعمل الأشياء جميعها بإفراز، فمن الإفراز حراسة الأفكار لئلا تتزعج فيما بعد، وفعل الإنسان فوق طاقته ولو إنه فعل جميل ومُكرَّم فهو منسوب إلى عدم الإفراز والتمييز، ويسبب لفاعله فيما بعد مللاً وتخبيطاً، ليس لأنه فعل رديئاً بل لأن الإنسان لا يحتمل ما لا يطيقه ولا يحتمل ما يزيد على قوته واستطاعته.

**مسألة**: إذا كان هناك إنساناً غنياً وله ما يزيد عن حاجته، فهل في حاجة إلى الإفراز لأنه يعمل بحسب إمكانياته؟!

**الجواب**: الإنسان الغني أيضاً يحتاج إلى إفراز لئلا يصنع ما يفوق طاقته وطاقة فكره، فيندم على ما يصنع ولذلك قال الرسول بولس: " لا من حزن وضرورة، لأن الله يحب المعطي الباش " [1] فالرجل الكامل الذي يقدر أن يحتمل الفاقة ( الفقر والحاجة ) بشجاعة ويزدري بالغنى ويحتمل كل شيء بلا قلق حسب الرسول القائل: " أقدر على كل

---

(1) ٢كو ٩: ٧.

شيء في المسيح مقويني "[1]"، والعالم قد انصلب لي وانصلبت أنا أيضاً للعالم "[2].

**مسألة**: كيف يمكنني أن أعطي ببشاشة؟!

**الجواب**: إن علمت أن الطالب ما طلب إلا عن حاجة فأعطه ببشاشة، كأنك تعط الله من ماله، وهذه هي البشاشة، وإن علمت أن ما له حاجة ولا به فاقة فلا تعطه بل قل له علىَّ وصية من أبي أن لا أعطي أحد شيئاً ما له به حاجة، وهذا لا يدعى قساوة قلب والرب يفقهك ويفهمك.

## ومن سيرة الشهيدة أنساطسية:

عند طلب منها أحد الأغنياء من المضطهدين قائلاً لها: إني عرفت إنك مسيحية غنية وثرية، صاحبة قنية، فإن كنت طائعة لعريسك الذي أمر بطرح الغنى والثروة فأعطني جميع مالك فتربيحن ربحين، تتممين ناموس عريسك، وتفلتين من أيادينا وتعبدين إلهك بطمأنينة وبلا فزع.

فأجابته قائلة: ليس الأمر هكذا فإن مسيحي قد قال بع مالك وأعطه المساكين وأنت غني موسر، فمن هو إذاً جاهل وشقي يفعل

---

([1]) في ٤: ١٣.

([2]) غل ٦: ١٤.

ذلك فما يجب إعطاؤه للمساكين يعطيه للأغنياء ويبذل ما هو للجياع لذوي المتعة والترف، فإنني إن شاهدتك جائعاً أو عطشاناً أو عرياناً أو مريضاً أو محبوساً فحينئذ أفعل بمقتضى وصية مسيحي فأطعمك وأرويك وأكسوك وأتعاهدك وأبذل لك الضروريات.

**مسألة**: إن فرق إنسان ما هو إليه محتاج بسبب الرحمة – وكان فعله ذلك بغير إفراز ولا روية فيندم ويحزن فكيف يعزي نفسه حتى لا يبتلع من الحزن الشيطاني؟!

**الجواب**: يجب أولاً أن يلوم نفسه لعدم إفرازه، ولكن ينعش فكره من الحزن قائلاً: إذا كنت قد صرفته في أمر جيد وحسن فالرب قادر أن يرحمني حسب مشيئته. ويعزي نفسه بكلام الرسول: " الزارع بالبخل بالبخل يحصد، والزارع بالبركات بالبركات يحصد كل واحد حسب شهوة قلبه لا من حزن ولا من ضرورة لأن الله يحب المعطي الباش وأن الله قادر أن يفضل علينا كل منة وموهبة حتى إذا ما كان لنا دائماً الكفاية حسب ما هو مكتوب فرق ماله وأعطى المساكين وبره ثابت إلى الدهر "[1].

## من أقوال مار إسحاق:

وفي مجال الراهب والصدقة قال مار إسحاق:

---

([1]) ٢كو ٩: ٦ – ٩.

لقد لام أحد الرهبان أخيه الراهب لأنه لم يصنع رحمة، فأجاب الراهب لائمه قائلاً: إن الرهبان ما عليهم فعل رحمة واجب، فأجابه ذاك الراهب الذي ليس عليه فعل الرحمة واجب وضروري ظاهر هو، فهو الذي يمكنه أن يقول للسيد المسيح بوجه مكشوف حسب ما هو مكتوب: ها نحن قد تخلينا عن كل شيء وتبعناك "[1] وهو يعني بذلك أن ليس له على الأرض شيئاً يملكه وليس له مشيئة في شيء ولا يهتم بأمور جسدانية ولا يخطر بباله شيئاً من هذه المرئيات، ولا يلتفت إلى اقتناء شيئاً وإن أعطاه أحد شيئاً لا يأخذه منه إلا ما له به حاجة، ولا يحفل بما فضل عنه، وتكون سيرته كسيرة الطير لا يجمع ولا يخزن بل يلتقط قوته فقط، هذا الذي هذه صفته ليس عليه فعل الرحمة ضروري لأنه كيف يعطي غيره شيئاً قد اعتق هو من امتلاكه ولا يحوزه، أما إذا كان راهب يعمل بيديه ويأخذ من يد الآخرين فواجب عليه أن يعطي المساكين ويصنع رحمة ومتى طرح ذلك فهو يضاد وصية الرب، وإن كان لا يهتم بهذه الأشياء الظاهرة التي في إمكانه فأي أمل له أن يقتني بها الحياة الأبدية فعجبي على هذا الراهب فإن لجاهل هو.

---

([1]) مت ١٩: ٢٧.



مكتبة
دير السيدة العذراء (السريان)

**ومن نسكيات القديس باسيليوس:**

امتحن الأشياء كلها وتمسك بالأحسن والأجود منها، ابعد نفسك من أي شيء خبيث، لأن كل شيء ممكن لنا لكن ليس كل شيء يوافق، فكن لكل من يصادفك ويقابلك ويسألك باشاً، حلواً متواضعاً غير ساخط لكل من قصدك بمحبة، واقتنع بما هو موجود في كل يوم، ولا تأخذ من أحد شيئاً نفيساً ولا سيما الذهب، فاهرب منه كهروبك من مغتال النفوس، لأن هذا هو والد الخطية، وخادم إبليس، فلا تجعل نفسك تحت محبة القنية بحجة رحمة المساكين وإن أحضر لك أحداً شيئاً من أجل المساكين وعرفت حال قوم معوزين، فأشر عليه أن يوزع هو بنفسه على أولئك الفقراء من الإخوة وذوي الحاجة حتى لا يتنجس فكرك ولا يتسخ ضميرك بقبول ما تقبله من مما يُحمل لك من القنية.

**مسألة**: قوم يسألني أن آخذ منهم شيئاً لأعطيه للمساكين، فما رأيك؟!

**الجواب**: يمكن إن كان الأمر يتعلق بالرحمة، لكن ليس أي إنسان ( راهب ) يقوم بذلك وإنما المختصون بأمر المساكين هم يمكنهم ذلك، أولئك هم الذين تمسكنوا وناحوا على خطاياهم ورتبوا نفوسهم لهذه الخدمة أما الباكون على خطاياهم والقابعون على

الحفاظ على طقسهم الرهباني فلا يخصهم ذلك الأمر، لأن كيف يفعل هذه الخدمة ذاك الذي جحد كل ما يختص به؟! وكيف يهتم ويدبر أمور غيره؟! فلا تلزمه هذه الخدمة ونرى القديس إيلاريون فعل هذا حينما سأله قوم أن يأخذ شيئاً منهم، فقال لمن سأله: بك أنت يليق أن تفرق مالك لأنك تدخل المدن، وتتصرف في القرى أما أنا هو الراهب المنفرد الذي يجلب ما يختص به، فكيف يأخذ مال غيره ويوزعه على الآخرين.

**مسألة**: إذا تشدد المعطي قائلاً إن لم تفرقه أنت بيدك فلا أعطي أنا شيئاً، يا ترى هل يجب أن لا آخذ وأدع البائس معوزاً حزيناً؟!

**الإجابة**: حسب ما سبق وقلت لمحبتك، إنه يوجد قوم قد رتبوا نفوسهم لهذا الأمر، وانفردوا لتدبيره فإن كنت أنت من الذين يجب عليهم أن يبكوا على خطاياهم فلا تلتفت إلى هذا الأمر، ولو رأيت إنساناً مخنوقاً قدام قلايتك، فلا تدخل نفسك في قسمة ما ليس لك وتتشغل بأمر يلهيك عن أن تبكي على خطاياك، واعلم أن صاحب الصدقة إن لم يجد من ينوب عنه في هذه الخدمة، فهو يفعلها بنفسه ولا يوجد ما يعوقه من فعلها.

# صدقة الراهب وأهله بالجسد [1]

سأل راهب الأب برصنوفيوس الكبير في معنى أخ له بالجسد محتاج ثوب؟

فأجابه القديس: أيها الأخ أنت تسأل في معنى أخيك، وأنا لا أعرف لك أخ غير المسيح. فإن كان لك إخوة غيره فاعمل لهم ما شئت، فأنا مالي شيء لأنه إن كان الرب قد قال: " من هم إخوتي ومن هي والدتي؟ " [2] فكيف أقول لك أنا أن تطرح وصية الرب وترتبط بمحبة الجسدانيين، وإن كانوا مفتقرين إلى ثوب، فلماذا لا تذكر المساكين الآخرين وتذكر القائل عن نفسه " أنني كنت عرياناً فكسوتموني " [3] لكن الأبالسة تلعب وتذكرك أيضاً بأولئك الذين قد جحدتَهم لأجل المسيح لكي تظهر عاصياً لأوامره.

---

(1) من المقالة العشرين – مخطوط ١٨٨ نسكيات بمكتبة دير السريان العامر.

(2) مت ١٠: ٤٨.

(3) مت ٢٥: ٣٦.

**ومن أقوال الشيوخ:**

سأل أخ شيخاً قائلاً: " إن أختي مسكينة هي فإن أنا أعطيتها شيئاً ما أسوة ببعض المساكين، فما رأيك؟

فأجابه الشيخ: " لا " فقال الأخ: " لماذا أيها الأب؟ " فأجاب الشيخ: إن الدم يحننك ويجذبك إليها قليلاً قليلاً.

**قال بعض الآباء:**

كان لأخ والدة تقية، فلما حدثت مجاعة كبيرة أخذ خبزاً ومضى به إلى والدته، فجاءه صوت قائلاً: من يهتم بوالدتك أنت أم أنا؟! فميَّز الأخ في نفسه قوة الصوت وخر على الأرض ومرَّغ وجهه في التراب قائلاً: أنت يارب تهتم بنا. ثم نهض راجعاً إلى قلايته، وفي اليوم الثالث جاءته والدته قائلة له فلان الراهب أعطاني حنطة قليلة خذها واعمل لنا أرغفة صغار لنأكل. فلما سمع الأخ هذا مجد الله وتقوى أمله ونجح بمعونة الله.

**ومن نسكيات القديس باسيليوس الكبير:**

يجب أن ننفصل من أصدقائنا ووالدينا بنياتنا واعتقادنا بمقدار ما نرى الموتى قد بعدوا عن الأحياء، لأن الذي قد تجرد بالحقيقة لجهادات الفضائل وقد هجر وودع العالم بجميع ما فيه وصلب نفسه

للعالم ولجميع ما في العالم، فوالديه وأقاربه وكل أنسباؤه جميعاً ليس سوى إخوة.

نحن نتمنى لأقربائنا الأشياء الجيدة أعني العدل وحسن العبادة، فهذه الأشياء كريمة عندنا، وإياها يجب أن نتمنى لهم وإنه من اللائق جداً أن يتعلموا هذه الأشياء منا، ونعف أفكارنا من الاهتمام بهم والانشغال بأمورهم، فبسبب مراعاة الأهل قد يتجاسر الناسك ويسلب من بيت الله شيئاً ليسد به عوز أقربائه، فالذي يفكر ويأخذ من تلك الأشياء الطاهرة المقدسة لله والمنذورة له يحسب من سراق ما للهيكل، فإذا عرفنا الأذية التي لا تحتمل، التي تحدث لنا من مراعاة أقاربنا فلنهرب من الالتفات إليهم، والاهتمام بهم كأنه أمر شيطاني وسلاح من أسلحة إبليس خزاه الله، فنجد الرب يسوع قد منع هذه العلاقة، فلم يفسح لأحد تلاميذه أن يودع خاصته، وآخر ما أفرج له أن يواري جسد أبيه الميت، فالأول الذي أراد وداع خاصته قال له: " ليس أحد يضع يده على سكة الفدان وينظر إلى ورائه يؤهل ويتهيأ لملكوت السماوات " [1]، والذي أراد دفن أبيه، قال له: " اتبعني ودع الموتى يدفنون موتاهم " [2] أنظر وتأمل هذا، فإن هذين الاثنين ما طلبا إلا

---

(1) لو ٩: ٦٢.

(2) لو ٩: ٦٠.

طلبات واجبة لكن المخلص ما أجاب إلى واحدة منهما، فإن اعترضنا معترض قائلاً: إن كان الأمر هكذا لماذا الناموس يأمرنا بالاهتمام بالخاصين بنا، وكذلك أيضاً الرسول بولس يأمرنا قائلاً: " إن لم يهتم أحد بخاصته الخاصين به فقد جحد دينه "[1]، فنجاوب جواباً مختصراً قائلين أن الرسول ناجى بقوله هذا أصحاب العالم الذين يمكنهم تعزية أقاربهم بما يملكونه من ثروة وغناء وكذلك أيضاً يقصد الناموس. ولكي أوجز في الجواب أقول أن الناموس والرسول اعتمدوا بما قالوه للأحياء، وليس ذلك القول خطاباً للموتى، فالموتى ( الرهبان ) لا يلزمهم شيئاً من تنفيذ هذه. فأنت صلبت نفسك للعالم بأسره، وهجرت الغنى وأصبحت عديم القنية وخصصت نفسك لله وصرت ملكاً له ولبيته المقدس كآنيته وأدواته وزيادة على ذلك فإنك ميت فقد انعتقت من جميع ما يطالبونك به أهلك، وبما أن ليس لك قنية فأي شيء تعطيهم، وأنت بجملتك نذرت وقدمت نفسك لله وما بقى لك سلطة على ذاتك لأنك قدمتها نذراً لله، فليس حسناً لك أن توعد إنساناً في شيء من الأشياء بل يليق بك أن تقتدي بسيرة أولئك الذين أفرزوا نفوسهم من جميع ما كان لهم وأنت شاكلت سيرتهم،

---

(1) ١تي ٥: ٨.



مكتبة
دير السيدة العذراء (السريان)

فبذلك تنطبق عليك كلمات الكتاب المذكورة، ولا تخطئ بجحودك وإنكارك لتعهدك الذي تعهدته عند رهبنتك وتنسكك.

**ومن كتاب إكليمندس:**

إن الرب لأنه يعرف سرعة زلتنا نحن المبتدئون وسرعة عودتنا إلى العالم متى صاحبنا أهله وداومنا على اجتماعنا بهم، فقال لمن أراد أن يتبعه عندما سأله أن يمضي ويدفن والده: دع الموتى يدفنون موتاهم.

**من أقوال الآباء الشيوخ:**

إن كنت قد جحدت أنسبائك بالجسد والأمور الجسدانية من أجل الله فلا تدع اللذة تجذبك في حالة جلوسك في قلايتك في التفكير برحمتك لأبيك وأمك وأخيك وتتحرك أحشائك إلى بينك وبناتك أو محبة امرأتك فأذكر إنك قد تخليت عن هذه كلها، وأذكر ساعة موتك.

لقد كان لأحد رهبان الإسقيط ابناً قد قبض عليه في خدمة السلطان، فكتبت والدة هذا الشاب إلى زوجها الراهب بأن يكتب إلى السلطان لكي يخلي طريقه. فأجاب الراهب قائلاً للرسول المرسل من زوجته: إن أخلى السلطان سبيله ألم يقبضون على غيره؟! فأجاب الرسول: نعم سيقبضوا. فقال له الشيخ: أي منفعة لي إن أنا أطلقته لتفرح به أمه وآخذ حزنها وأدخله إلى قلب امرأة أخرى.

وكان هذا الشيخ يعمل عملاً متصلاً ويأخذ ما يكفيه والباقي يفرقه على المساكين، فلما حدثت مجاعة أنفذت الوالدة بولدها إليه طالبة منه أن يعطيها خبزاً قليلاً فلما سمع الشيخ قال لابنه: هل في هذا الموضع قوم آخر محتاجون مثلكم؟ فأجابه الصبي: نعم كثيرون هم المحتاجون. فأغلق الباب في وجهه قائلاً له: امض يا ابني المهتم بأولئك هو يهتم بكم.

فسأل أخ ( راهب ) الشيخ قائلاً: الآن لا يدينك فكرك لأنك رددت ابنك هكذا؟! فأجابه الشيخ: إن لم يكره الإنسان نفسه في كل أمر من أموره فما له ربح في أي شيء البتة.

## قصة أخرى:

كان لراهب أخ بالجسد فكان الأب الراهب يواسيه من عمله وبمقدار ما يواسيه كان ذاك الرجل يفتقر، فمضى الراهب وأخبر شيخاً بهذا الأمر، فقال له الشيخ: إن سمعت مني فلا تعد أن تعطيه شيئاً البتة بل قل له يا أخي لما كان لي كنت أعطيك وأنت لا توفق فيه، فالآن أنت تحضر لي من عملك. ومهما أحضر لك خذه. وإذا رأيت غريباً أو شيخاً أو مسكيناً فأعطهم واسألهم أن يصلون من أجله. فمضى الراهب وفعل حسب ما أمره الشيخ، ولما جاء أخوه الذي بالجسد أعلمه بما قاله الأب الشيخ، فمضى ذلك الأخ حزيناً كئيباً.

وبعد حين أتى وأحضر لأخيه الراهب بقولاً من تعبه فأخذها منه الأب الراهب وأعطاها للشيوخ وسألهم الصلاة من أجله وأخذ الأخ بركة صلواتهم وعاد إلى منزله. وفي المرة الثانية أتى إلى أخيه الراهب وأحضر معه بقولاً وخبزاً من كده فأخذها الراهب وفعل كالمرة الأولى وأخذ الأخ البركة ومضى. وفي المرة الثالثة أحضر لأخيه أشياء كثيرة لها ثمن، ونبيذاً وسمكاً فلما رأى الأب الراهب ذلك تعجب واستدعى المساكين وأطعمهم وقال لأخيه الذي بالجسد: الآن هل بك حاجة إلى يسير من الخبز؟ فأجابه ذاك: لا يا أبي لأنني لما كنت آخذ منك شيئاً كان يذوب وكمثل نار تدخل إلى بيتي وتأكله، ومن حين صرت لا آخذ شيئاً منك الله بارك لي في كل شيء.

فمضى الراهب وأخبر أبيه الشيخ بجميع ما جرى، فقال له الشيخ: ألم تعلم أن أجرة عمل الراهب هي نار وحينما دخلت إلى منزل أحرقته، فأخيك هذا يجب عليه أن يتعب ويرحم المساكين من تعبه، ويأخذ عوض ذلك صلاة من القديسين وعلى هذه الصفة تحل عليه البركة.

## من أقوال الأنبا بيمن:

سأل أخ الأنبا بيمن قائلاً: قد تبقى لي ميراث ماذا أصنع به؟

فأجابه القديس: امض الآن وبعد ثلاثة أيام تعال وأعطيك جواباً. وبعد اليوم الثالث جاءه الأخ فقال له الشيخ: ماذا أقول لك أيها الأخ إن قلت لك أعطِ ميراثك للكنيسة، فهناك يصنعون به موائد وإن قلت لك أعطه لأهلك فلا يصير لك أجر وإن قلت لك أعطه للمساكين، يزول همك فما أردت افعل، أما من جهتي ما لي في الأمر شيئاً.

# قصص واقعية من أعمال الرحمة (١)

## من خبر أبينا القديس يوحنا الرحوم:

لقد اقتنى هذا الطوباوي مع جميع المحاسن – التي اقتناها – هذا الأمر أعني التجرد، إنه كان يضطجع على فراش دنيء ويتغطى بغطاء حقير، فراشه وغطاؤه لا قدر لهما، فلما شاهده أحد أغنياء المدينة ورآه يستعمل هذه الأشياء، أنفذ إليه قطيفة ثمنها ستة وثلاثين ديناراً، وعاهده أن يتغطى بها ويذكره في صلاته، فلكي يفي بالعهد تغطى بها ليلة واحدة وكان طوال ليلته يقول لنفسه: مَنْ من الناس يقول أن يوحنا المسكين يتغطى بقطيفة تساوي ستة وثلاثين ديناراً - وكانت هذه الجملة يكررها على لسانه من حين لآخر - وإخوة المسيح يتجمدون من البرد، فكم منهم في هذه الليلة تصر أسنانهم من البرد، وكم منهم يفترشون نصف الحصير ويتغطون بالنصف الآخر وما يتسع لهم بسط أرجلهم، وكم في تلك الليلة من هم نائمون في الجبال بلا عشاء وبلا غطاء وبلا ضياء يقاسون الجوع والبرد، وكم من الناس

---

(١) من المقالة الثالثة والعشرين – مخطوط ١٨٨ نسكيات بمكتبة دير السريان العامر.

مطروحين على قارعة الطريق وربما يكونون تحت الأمطار، وكم ... وكم ... وأنت يا يوحنا الذي ترجو أن تنال نياح الدهر الآتي تشرب وتأكل وتدفأ بقطيفة ثمنها ستة وثلاثين ديناراً، فتيقن إذ كنت تريد أن تعبر عيشتك في هذه الراحة فلا ترجو التمتع بالخيرات المعدة للصديقين، بل ستسمع القول الذي سمعه ذلك الغني: إنك أخذت خيراتك في حياتك ولعازر البلايا فها هو يتعزى وأنت تتعذب "[1] مبارك هو الرب الإله أن يوحنا المسكين ليلة أخرى لا يتغطى بك أيتها القطيفة، لأن الأوجب والأفضل أن يتغطى بثمنها مائة وأربعة وأربعون من الإخوة من أن تتغطى بها أنت أيها الشقي – لقد كان يباع في ذلك الوقت أربعة قطع من الغطاء بدينار. وهكذا كان يوحنا يبكت ذاته، وفي غد تلك الليلة أنفذ القطيفة لتباع، ولما رآها صاحبها الذي أحضرها للقديس، اشتراها بستة وثلاثين ديناراً، ثم أحضرها دفعة ثانية للقديس يوحنا، وأصر القديس أن لا يتغطى بها. وفي الغد أرسلها لتباع ورأى صاحب هذه القطيفة ذلك فأسرع واشتراها وذهب للقديس للمرة الثالثة يسأله أن يجعلها برسم غطائه ويذكره في صلاته بذاك الرسم. فأجابه القديس: من الآن تصير هذه القطيفة لمن يتعب ويعيا أولاً أنا أم أنت.

---

(1) لو ١٦: ٢٥.

## قصة ثانية:

كان القديس يوحنا الرحوم – السابق ذكره – يوحنا المسكين، إذ بلغه عن إنسان إنه رحوم كان يستدعيه ببشاشة ويقول له بمعزل ويسأله كيف صار رحيماً فكان البعض يجيب والبعض الآخر يخفي ذلك حياء منه، وفي أحد المرات سأل أحدهم فأجابه قائلاً: صدقني أيها السيد إنني لا أعطي شيئاً ولا أعمل صلاحاً، وما أعمله وأتصدق به هو مما وهبه لي الله ورزقني إياه ببركة صلواتك، وهكذا جرت عادتي قديماً إنني كنت غير حنون وغير رحيم، فضاقت بي الأيام، وقاتلني فكري قائلاً بالحقيقة لو كنت رحيماً ما كان الله قد تخلى عنك، فجعلت على نفسي رسماً، أن أكون كل يوم أتصدق بخمسة فلساً على الضعفاء ولما بدأت بذلك قاتلني الشيطان وأشار علىَّ قائلاً: إن هذه الخمسة فلساً تكفي الدار بقولاً أو حماماً، فشححت من ذلك اليوم وقطعتها وكأنها من قوت أولادي كانت تُعطى، فما صرتُ أعطي شيئاً، ولما رأيت نفسي منقهرة من هذا الألم، قلت لغلامي أريدك أن تأخذ من مالي كل يوم حيث لا أعلم خمسة فلساً وتتصدق بها على المساكين.

لما سمع الغلام مني هذا عمل عملاً سديداً وصار يأخذ من حيث لا أعلم ويتصدق على الفقراء، ولما رأى البركة تحل علينا، زاد من مما

يأخذ ويتصدق به، فزادت البركة وزادت ولما رأيت عجائب الله وبركاته اندهشت وتعجبت جداً وقلت للغلام: لقد نفعتنا يا بني كثيراً بصدقتك كل يوم بالخمسة فلساً فضاعفها وتصدق بعشرة فلساً، فأجابني مبتسماً: لولا ما كنت أفعل ذلك وأعطي بسخاء ما كان لنا خبز نأكله اليوم. واعترف أنه كل يوم كان يتصدق بأكثر وأكثر، ولما تحققت بما كان يفعله تعودت أن أكون رحيماً وأتصدق بطيبة نفس وبشاشة، وهذا هو أمري يا أبانا القديس يوحنا.

## من سيرة القديس إبيفانيوس:

في وقت من الأوقات ذهب شماس من أورشليم إلى القديس إبيفانيوس الكبير، وأعلمه بما يتعلق بيوحنا أسقف أورشليم، بأنه محب للفضة ويخزن الأشياء ولا يفرج عن المحتاجين وكان القديس إبيفانيوس يعرف الأب يوحنا لأنهما كانا ساكنان معاً في دير القديس إيلاريون فكتب القديس إبيفانيوس إلى الأب يوحنا رسالة يعظه ويوصيه ويحثه فيها على رحمة المحتاجين. أما يوحنا لم يعمل شيئاً من مما جاءت به الرسالة فبعد زمان طويل قال لتلميذه: هلم بنا يا بني لنمضِ إلى أورشليم لنسجد فيها ثم نعود. فأقلعا من جزيرة قبرص وجاءا إلى قيسارية فيلبس ومنها صعدا إلى أورشليم ولما صليا هناك ذهبا إلى قلاية الأب يوحنا الأسقف فلما شاهد يوحنا إبيفانيوس فرح

فرحاً عظيماً ثم قال إبيفانيوس ليوحنا: أعطنا موضعاً لنأوي فيه. فأعطاهما منزلاً جيداً، كما كان يوحنا كل يوم يستدعي إبيفانيوس إلى مائدته مقدماً الطعام في أطباق فضية، وتأكد القديس إبيفانيوس أن الأب يوحنا لم يكن يناول مسكيناً شيئاً، فلما أبصر إبيفانيوس طريقة معاملة الأب يوحنا للمساكين قال له: أيها الأب يوحنا أريد أن تبعث إليَّ الأطباق الفضية التي عندك لأني في حاجة ماسة إليها لأن قادم إليَّ شرفاء مدينة قبرص، فَجَملني أمامهم وجَمْل نفسك بما تعطي من أجود ما تقدر عليه، فأكون دائماً فخوراً بعملك معي، وأعتز بذلك وأشهره عند الكافة ذاكراً عطاياك والله يعمل ما يليق فيما بعد. فأحضر الأب يوحنا قدام إبيفانيوس أدوات فضية كثيرة، فقال إبيفانيوس: هل لك فضة أخرى أيها الأب؟ فسأله الأب يوحنا: هل هذا غير كاف لك في هذا الوقت؟ فأجابه إبيفانيوس: أحضر لي الباقي والرب يكافئك خيراً. فأحضر له الباقي قائلاً: خذ كفايتك لتستر به نفسك أمام قومك واخدمهم خدمة مرضية. فأخذ إبيفانيوس باقي الأدوات الفضية –وكانت جملتهم ما يقرب من ألف وخمسمائة رطلاً من الفضة – ثم مضى إلى المنزل الذي قد كان يوحنا أفرده لسكناه مع تلميذه، وكان هناك رجل اسمه " اسطاريوس " من

أهل رومية يبتاع فضة – قد جاء لإنسان ما في أورشليم – فأحضره إبيفانيوس وأراه الفضة ثم باعها له، واستوفى ثمنها كله.

بدأ إبيفانيوس يتصدق بهذا الثمن ليلاً ونهاراً يعطي المساكين والمحتاجين، ومن بعد مرور وقت من الأيام قال الأب يوحنا لإبيفانيوس: أعطني ما لي عندك من الأدوات الفضية. فأجابه إبيفانيوس: طول روحك علىَّ أيها الأب وأنا أعطيك جميع ما لك لأنني ما زلت محتاج إليه، وبعد مرور أيام أُخر حيث كانا الأب يوحنا والقديس إبيفانيوس في كنيسة الصليب فقال الأب يوحنا للقديس إبيفانيوس: لقد سبق وقلت لك أن تعطيني ما قد أعرتك من الفضة.

فأجابه إبيفانيوس بكل هدوء: قد قلت لك أيها الأب إنني سأوفيك بجميع ما لك عندي. فاغتاظ الأب غيظاً شديداً وهاجم إبيفانيوس هجوماً عنيفاً قائلاً له: لا تخرج ولا تدخل من هذا الموضع ولا أتركك حتى تعطيني ما قد أخذت مني. وكان القديس إبيفانيوس هادئاً ثابتاً بصبر واحتمال، فطالت مهاجمة الأب يوحنا للقديس إبيفانيوس إلى ما يقرب من ساعتين من الزمان ومصراً على أن لا يتركه حتى يرد ما قد أخذه منه.

أما إبيفانيوس ما حزن قط بل نفخ في وجه الأب يوحنا ففي الحال أصابه العمى، ففزع كل من رأى ذلك وخر الأب يوحنا ساجداً تحت



مكتبة
دير السيدة العذراء (السريان)

قدمي إبيفانيوس راغباً وطالباً أن يصلي من أجله لكي يبصر، فقال له إبيفانيوس: امضِ واسجد للصليب المكرم وهو يعطيك سؤالك هذا، ثم بعد ذلك وضع إبيفانيوس يده عليه وانفتحت عينه اليمنى، فسأله الأب يوحنا عن عينه اليسرى. فقال له إبيفانيوس: الله هو الذي أغلق والله هو الذي فتح، وهو فعل ذلك لكي ينصلح أمرك وترك تلك العين حتى تكون لك علامة لتعمل الخير وتعطي المحتاج وترحم المساكين.

ولما تأدب الأب يوحنا بهذا الأمر صار باراً في جميع أحواله رحيماً عطوفاً على جميع المساكين والمحتاجين.

## قصة حدثت للقديس غريغوريوس بابا رومية:

كان القديس غريغوريوس أولاً رئيساً لديره وفي حال كونه فيه جاءه إنسان ممن قد عُطِبَ في البحر، يشرح له مصيبته ويطلب منه رحمة – لم يكن هذا إنسان بالحقيقة بل كان ملاك أراد أن يقوي فضيلة القديس وتحننه – فأعطاه القديس ستة دنانير ثم جاءه ثانية فأعطاه ستة دنانير أخرى، ولما جاءه ثالثة لم يرده فارغاً وأعطاه ببشاشة فكشف له الملاك الأمر وقال له: من حين أعطيت لي الذهب رُسم لي من ذلك الوقت أن لا أفارقك بل أسير معك وأحفظك.

## قصة حدثت مع يولينس الأسقف:

تأمل كيف كان الآباء القدامى في حفظهم لوصايا الرب حفظاً دقيقاً، وكيف بذلوا نفوسهم عن أحبائهم تشبهاً بمن قال: " ليس لأحد محبة أعظم من هذه وهي أن يبذل الإنسان نفسه عن أصدقائه "[1]. ومن جملة هؤلاء الآباء القديسين كان هناك رجل الله الذي يدعى " يولينس الأسقف "، هذا جميع ما وجده في الأسقفية أعطاه في فك الأسرى، وفي يوم من الأيام جاءت إليه أرملة قائلة له أن ولدها أسير وطلبت منه المبلغ المطلوب في فك الأسير وعودته إلى أهله أما رجل الله فلم يجد شيئاً يعطيه للمرأة، ولما لم يجد شيئاً يعطيه للمرأة قال لها: يا امرأة ما لي شيئاً أن أعطيه لك سوى أن أسلم نفسي إليك عبداً ولك سلطة علىَّ أن تعطيني عوض ابنك وبذلك تستطيعي أن تفكيه من أسره. فلما سمعت المرأة هذا الكلام ظنت أنه يمزح، ولأن هذا الأسقف كان عالماً حصيفاً متأدباً استطاع أن يقنعها بهذا الرأي. فمضى كلاهما إلى إفريقيا وهناك قابلا " ختن الريغين " الذي كان ابن الأرملة أسيره. تقدمت الأرملة إليه تطلب منه أن يفك أسر ابنها، أما ذلك البربري مَلَكَهُ المزاح، فقالت له الأرملة: ها أنا أدفع إليك هذا الإنسان عوضاً عن ولدي، شخصاً بشخص، وجسماً بجسم، تحنن

---

(1) يو ١٥: ١٣.

علىَّ وأعطني وحيدي وبهجة قلبي، وذاك لما رأى الأب الأسقف بوجهه الباش نظر إليه قائلاً: ما صناعتك؟ فأجابه: أما عن الصناعة فلا أُحسن بل لي يد ونظر في خدمة البساتين. فلما سمع البربري هذا منه استلذ سماعه، وقبله وفرح بخبرته في عمل البساتين، وأخذه عبداً عوضاً عن ابن الأرملة وأعطاها ابنها الذي كان عنده أسيراً، فأخذته وخرجت من بلد إفريقيا.

أما يولينس لما تناول خدمة البساتين كان يعمل بنشاط وعزيمة وكان طعامه بقولاً يومياً. ووجد نعمة في عيني " ختن الريغين " هذا الذي صار يُكثر الدخول إليه في البستان لأنه استراح في اللقاء معه، ولما رأى فيه الحكمة صار يباحثه في أمور كثيرة. وفي أحد الأيام قال يولينس للبستاني: أنظر ماذا تصنع وكيف يجب أن تدبر المملكة لأن الريغين في هذه الأيام سوف يموت. أخبر البستاني الريغين بهذا الكلام، فلما سمع ذلك قال: أريد أن أُبصر الإنسان الذي قال ذلك. فأجابه قائلاً: قد جرت عادة ذلك الرجل قائل هذا الكلام أن يتغذى بقولاً كل يوم، فأنا أجعله اليوم يحمل البقول إلى مائدتك لتعلم من هو القائل هذا الخبر.

حان الوقت وجلس الريغين على مائدته، وإذ بيولينس حاملاً بقولاً، فلما رآه الريغين اضطرب بغتة ثم استدعى البستاني وكشف

يولينس لهما السر قائلاً: صحيح ما سمعت لأنني في تلك الليلة رأيت ملوك جالسين على منبر وأنت كنت جالساً من جملتهم، والسوط الذي كان بيدك أُنتزعَ منك. سمع الريغين ذلك ثم أخذه في عزلة واستحلفه قائلاً: أخبرني ماذا كنت تعمل في بلدك؟ ضاق بيولينس الأمر واعترف قائلاً: كنت أسقفاً على بلدي. فزع جداً لما سمع هذا ثم تقدم إليه قائلاً: أطلب مني ما شئت لتعود إلى أرضك، فأجاب رجل الله يولينس: شيئاً واحداً أطلب منك وهو أعظم شيء وأنت قادر أن تعطيني إياه وهذا الشيء هو أن تفك كل من أَسرته من بلدي. ففي الحال أطلق كل الأسرى وجعل كل أسير في مركب حاملة قمح كثير وأطلقهم مع يولينس إكراماً له – هذا ما صنعه الأب الأسقف يولينس إذ أسلم نفسه عبداً ثم عاد حراً وأعتق من الأسر عدد ليس بقليل متشبهاً بذاك الذي أخذ صورة عبد حتى لا نبقى نحن فيما بعد عبيداً أسرى للخطية.

**قصة الأرملة الفقيرة:**

ذكر معلمنا لوقا:

" **وَتَطَلَّعَ** ( الرب يسوع ) **فَرَأَى الأَغْنِيَاءَ يُلْقُونَ قَرَابِينَهُمْ فِي الْخِزَانَةِ وَرَأَى أَيْضاً أَرْمَلَةً مِسْكِينَةً أَلْقَتْ هُنَاكَ فَلْسَيْنِ. فَقَالَ: بِالْحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ هَذِهِ الأَرْمَلَةَ الْفَقِيرَةَ**

أَلْقَتْ أَكْثَرَ مِنَ الْجَمِيعِ. لأَنَّ هَؤُلاَءِ مِنْ فَضْلَتِهِمْ أَلْقَوْا فِي قَرَابِينِ اللهِ. وَأَمَّا هَذِهِ فَمِنْ إِعْوَازِهَا أَلْقَتْ كُلَّ الْمَعِيشَةِ الَّتِي لَهَا " (لو ٢١: ١ – ٤).

**تأمل القديس يعقوب السروجي في هذا الأمر:** [1]

حسب قوة كل واحد يلقي فضته في الخزانة، فقبل الرب فلسي الأرملة أكثر من الكثير لأنها كانت فقيرة والذي كان لها كله أعطته للرب، فسر الرب بها لأن حبها كان أعظم من قربانها، فالحب يحسن للقربان فمن أجل هذا غلبت الأرملة الأغنياء بقربانها. كانت الأرملة محتاجة وفقيرة لكن كانت طوباوية وصاحبة عقل غني له قوة الإفراز ولولا ذلك وأمانتها وحبها لكان يثقل عليها أن تحضر للخزانة فلسين وهذين كل ما كان لها بينما الأغنياء يلقون في الخزانة ذهباً وفضة مختارة وثيران مسمنة وعجول وكباش أما هذه نظرت بيتها وفتشت خزانتها وفحصت كيسها فلم تجد لها سوى الفلسين. فبالحب ألقتهما في خزانة الرب، وربنا يطلب وجود هذا الحب داخل النفس، فالمرائيين يكرمون الذي يُحضر الذهب والفضة أما ابن الله يفرح بالذي فيه الحب، أولئك يمجدون الذين يحضرون الذهب والفضة المختارة أما ربنا يسوع يحب الذي له قلباً طاهراً. جلس ابن الله أمام

---

([1]) من مخطوط رقم ٢٠٦ ميامر بمكتبة دير السريان العامر.

الخزانة وأحضروا اليهود النذور والقرابين لبيت القربان وكان الكهنة يتفرسون في المقربين ونذورهم وعطاياهم، أما هو ( ابن الله ) فكان يتفرس في القلوب وأفكارهم، نظر الأرملة وأفكار إيمانها وفحصها ونظر فلم يجد أحداً قرَّب مثل قربانها، نظر فوجد نفسها نقية ممتلئة نور، حبها محبوب، وعينيها صالحة ونذرها صغير، سمع صلاتها التي صعدت في الخفاء لأبيه السماوي بأن يقبل قربان مسكنتها، فدخل وفحص قلبها وفرح بحركاتها وأفكارها فوجدها هي وحدها أفرزت نذرها بالحب النقي ولم يجد أحداً أدخل ذبيحة كاملة مثلها فوجد عطاياه حسنة في بيت القربان، تطلع الرب فرأى كل واحد من ماله أحضر قليلاً أما هي فقد حملت فلسين كل ما في بيتها لتقدمهما قرباناً فصارا قرباناً عظيماً أمام الله. فرح الآب بإفراز الطوباوية ومجَّدها ابنه قدام اليهود ليزدري بهم، أظهرها للكهنة الذين احتقروا قربانها، وبكتهم لأنهم ازدروا بإيمانها، وقال لهم: انظروا هذه الأرملة وقربانها القليل وانظروا ما أحضره الأغنياء للتقديم، فهؤلاء جلبوا من بعض مقتنياتهم أما هذه المحتاجة أعطت كل مقتنياتها، هذه وحدها عرفت أن تفرز وتقرب عطايا بقلب طاهر وحباً نقياً، عطاياها قليلة وإفرازها عظيم، فهي قربت نذرها الكامل أفضل من أبينا يعقوب لأنها لم تفرز العشور من مقتنياتها لتقدمه بل الطوباوية أحبت الرب من

كل قلبها وأكثر من نفسها فقدمت كل ما كان عندها بغير شفقة على نفسها، فبكتت جميع الشعب بحبها وبقلبها القريب إلى الله، وكان السيد المسيح شاهداً على إفرازها وحبها وعقلها العالي الرزين في تفكيرها، فلقد فكرت وعرفت أن الله غير محتاج إلى قربان بل عرفت أن الله يطلب سبباً من الناس ليغنيهم، فقالت في نفسها لو أراد الله لحول تراب الأرض ذهباً ومياه البحر مرجاناً لذلك ليس للاحتياج يطلب العطايا من البشر ليخلطهم معه في سداد احتياج المعوزين ولكي يوجد سبب يأتون به إليه وليكثر لهم المكافأة ويكافئهم، فإن للرب الأرض وملؤها، فلم يأخذ الرب للاحتياج بل ليعطي غنى كثير وميراث أبدي لا يضمحل الذي له المجد الدائم أبدياً آمين.

# محتويات الكتاب


| صفحة | الموضوع |
| --- | --- |
| ٧ | مقدمة |
| ١٠ | عمل الرحمة |
| ٢٥ | معنى الصدقة ووجوبها |
| ٢٨ | الصدقة ( الرحمة ) |
| ٤٣ | حث الأغنياء على عمل الرحمة |
| ٥٣ | الرحمة في الخفاء |
| ٦١ | الضيافة كعمل الرحمة كيف تكون؟ |
| ٦٨ | الرحمة من مال ظلم |
| ٧٧ | القرابين والصدقة النقية |
| ٧٨ | الراهب والصدقة |
| ٨٧ | صدقة الراهب وأهله بالجسد |
| ٩٥ | قصص واقعية من أعمال الرحمة |
| ١٠٨ | محتويات الكتاب |



مكتبة
دير السيدة العذراء (السريان)

مكتبة
دير السيدة العذراء (السريان)